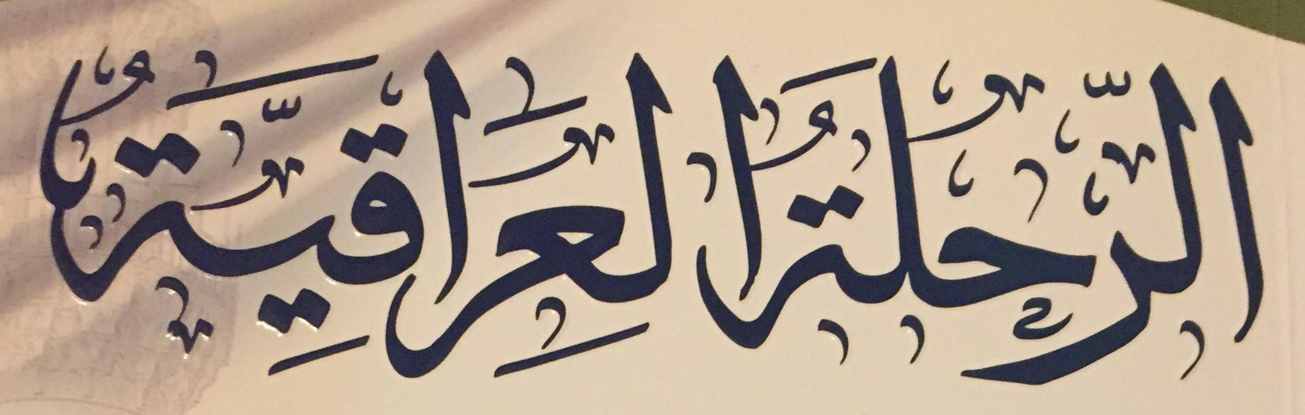


الرحلة العراقية

عام 1139 هـ / 1726 م

كشط الصدا وغسل الران
في زيارة العراق وما والاها من البلدان

للشيخ مصطفى الصديقي الخلوتي الدمشقي
المتوفى 1162 هـ / 1748 م

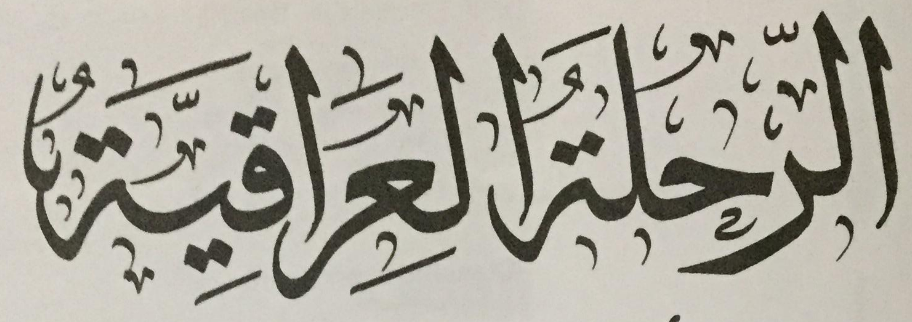
وهو

رحلة للأولياء والصالحين في مدن المسلمين

تحقيق وتعليق
السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان



عام 1139 هـ / 1726 م

كشط الصدأ وغسل الران

في زيارة العراق وما والاها من البلدان

للشيخ مصطفى الصديقي الخلوتي الدمشقي

المتوفى 1162 هـ / 1748 م

وهو

رحلة للأولياء والصالحين في مدن المسلمين

تحقيق وتعليق

السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا وشفيعنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هـذا الكـتاب، يقـع ضـمن دائـرة أدب الـرحلات، المعـروف لـدى الأمـم والشعوب، ولكن هذه المرة جاء بقلم وعيون شيخ من كبار مشايخ الصوفية، هو الشيخ مصطفى كمال الدين الصديقي الخلوتي الدمشقي الصوفي، المتوفى 1162هـ.

فجاءت الرحلة بفرائد نادرة، وتوثيقات مهمة لتاريخ العراق، وخاصة في مشاهداته لمراقد الأولياء والصالحين، ولجوامع بغداد ومساجدها القديمة، ولعددٍ لا بأس به من المشايخ والعلماء الكبار.

والرحلة عند مشايخ الصوفية، لا تنطلق من مزاج شخصي، أو لأسباب كمالية فحسب، بل من مبدأ أساسي عندهم، وهو السياحة والغربة، فالسياحة عندهم هي الخروج إلى أرض الله الواسعة، لاكتشاف النفس قبل اكتشاف المكان فهي سياحة معرفية، فمن لم يعرف نفسه عندهم، كيف له أن يعرف ربه، أما الغربة فهي قطع العلائق بين الإنسان وبين ما حوله، ليبقى خالصاً لربه عز وجل، من خلال غربته عن الأوطان والأهل والأقارب.

فلو قارنت بين رحلات هؤلاء المشايخ الصوفية وغيرهم، لوجدت أن رحلات الآخرين تبدو وكأنها أجساد بلا أرواح، لاهتمامها بكل ما هو مادي وظاهري، ولو وقفت على فحوى رحلات الصوفية، لاكتشفت أنها بعيدة الغور، في عمق الروح، ومساحة القلوب، فيستنطقون المكان في روحانيته، ويستمدون من الحضرات والزوايا التي يلتجؤون إليها الذكر والوجد، ويأخذون من الشيوخ الذين

يقابلونهم العلم والتحقيق، فيمنحون المكان بعداً آخر، تبعث فيه الروح والحياة.

هذه الرحلة التي نحن بصددها رحلة للأولياء والصالحين ولكل ما هو مقدس في مدن المسلمين وبقاعهم، فكان هذا الكتاب الذي استحق البذل منا، وجهداً سيجني حصاده المهتمون، بشواخص الإسلام والمسلمين وبحواضرهم وآثارهم.

ومن الله التوفيق

السيد ميعاد شرف الدين آل شامية الكيلاني

الحسني القادري البغدادي

شتاء 2010م

ترجمة صاحب الرحلة

هو الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي، ولد في دمشق 1099هـ، وأقبل على العلم والعلماء، والقراءة والدرس، وحصل على الإجازة العلمية في العلوم من:

أ - الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير (بابن الميت).

ب - الشيخ محمد عقيلة المكي.

ج - الشهاب أحمد النخلي المكي.

د - عبد الله بن سالم البصري المكي.

وسلك طريق التصوف على كبار مشايخ الصوفية أمثال:

أ - الشيخ الكبير عبد الغني النابلسي الصوفي، قرأ عليه كتب التصوف للشيخ الأكبر ابن عربي وشيئا من الفقه.

ب - أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي وبعد وفاة الأخير صارت إليه المشيخة واجتمع عليه المريدون، وأطلق عليه لقب (مجدد الخلوتية).

ج - أخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ محمد با سعيد الهندي.

د - أخذ الطريقة القادرية من السيد أحمد القادري ببغداد سنة 1139هـ في الحضرة القادرية.

وكانت لهم خلوة في الباذرائية في دمشق.

سفره:

سافر الشيخ مصطفى البكري الصديقي الذي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى بلدان كثيرة. منها بلاد الروم والقسطنطينية، والعراق، وحلب، ولبنان، والقدس، ومصر، والحجاز. وكتب عن سفره كتبا عدة بأسماء رحلاته، منها الرحلة العراقية، والحجازية. والرومية وغيرها.

مؤلفاته:

كان الشيخ ذكياً حاد الفطنة قوي الملاحظة، وله عزيمة قل نظيرها في التأليف والكتابة، إذ تجاوز ما كتبه أثناء رحلته في العراق فحسب ثلاثة كتب، فهو غزير الكتابة والتأليف في كل الأوقات والأحوال، وفي الحل والترحال، حتى بلغت كتبه ورسائله أكثر

من مئتي مصنف، منها ستون مصنفاً أحزابا وأورادا، وله اثنتا عشرة مقامة، واثنتا عشرة رحلة، وسبعة دواوين شعرية، وتسع أراجيز في علوم الطريقة وغيرها كثير.

وأوقف كتبه في حياته على زاوية آل أبي السعود جوار المسجد الأقصى، إلا أن الأيدي تناثرتها، واليوم تجد كتبه في متاحف الغرب وغيرها.

كراماته:

ذكر الكثير عن كراماته في الكشف والكلام على الخواطر وأهمها برأينا أنه كان ينفق الكثير ولا أحد يعلم أن له دخلا.

الكتب المؤلفة في مناقبه:

ذكر في تاريخ المرادي قال: جمع مناقب نفسه في كراريس بلغت نحو أربعين كراسا، ولم يتم.

وترجم له ولده أبو الفتوح محمد كمال الدين البكري كتابا سماه (التلخيصات البكرية في ترجمة خلاصة البكرية).

خلفاؤه:

ترك خلفه عددا من الخلفاء يزيد على العشرين، برز من بينهم محمد الحفني شمس الدين أبو المكارم الخلوتي المصري الشافعي، الذي قابله في القاهرة وأخذ عنه الطريقة الخلوتية سنة 1133هـ، وصار فيما بعد من أئمة الأزهر وتوفي 1181 هـ وكذلك ابنه الشيخ محمد البكري وعدد آخر في العراق كما جاء في هذه الرحلة.

وفاته:

بعد حياة طويلة قضاها الشيخ مصطفى البكري في الورع والعبادة وزيارة الأئمة والأولياء، ونشر الطريقة الخلوتية، والتأليف والكتابة، ذهب إلى الحجاز ثم القاهرة، وفي يوم مولد السيد البدوي، استأذنه تلميذه الحفني بالتخلف عن حضور مولد البدوي، فأشار إليه بعدم التخلف، فتوفي الشيخ الصديقي ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني 1162هـ ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة، وقبره ظاهر يزار.

مصادر ترجمته:

الشيخ يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ج2، ص471 - 484 وسنلحقها في نهاية الكتاب، لما تضمنته من تفاصيل مفيدة، ومنها أسماء كتبه ومؤلفاته، ومحمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ج4، ص200 وذكره الشيخ عبد الله السويدي: النفحة المسكية في الرحلة المكية: ص78، ص80.

مقاصد الشيخ الصديقي

من رحلته العراقية

أوضح الشيخ هذه المقاصد في الورقات الأولى من المخطوطة، أنه يريد زيارة الأولياء والصالحين، في العراق، لمعرفته أن أرض العراق مزرعة للأولياء والصالحين، حيث تنتشر مراقدهم وأضرحتهم الشريفة من شماله إلى جنوبه، والشيخ الصديقي من المشايخ الذين لهم صادق الاعتقاد، ببركة زيارة الأولياء والصالحين، حتى أنه كشف عن حالة الأنوار والإلهام لدى دخوله مراقدهم، والروحانيات العالية لدى الوصول الى أعتابهم، ولربما ورده وارد رباني أو خاطر حقاني، عند الحضور إلى هذه الحضرات، ويعتقد من خلال سياق إنشائه وكلماته، أن هناك مددا يصل الزائر من روحانية هؤلاء الأولياء.

وإذا كان هذا مقصده الأساس وغايته كما صرح بذلك هو، فلا تعدم رحلته، من عزم كبير كان يتملكه في نشر الطريقة الخلوتية الصوفية، والتي يعتبر هو أحد أركانها الكبار، بل لقب بمحيي أو مجدد الطريقة الخلوتية، وهذا المقصد غير محصور على العراق وحده، بل لجميع أمصار المسلمين آنذاك، فتراه كثير التنقل من دمشق إلى الروم إلى الحجاز ومصر ولبنان والشام، والقدس، وخلال تواجده كان يمنح إجازاته الصوفية لصلحاء القوم أو ممن يتوسم فيهم خيراً لهذه الطريقة، وقد منح عددا من هذه الإجازات في العراق لمشايخ وعلماء كبار، وكانت إجازته من ثلاثة أصناف وهي: الأول: بالطريقة الخلوتية الصوفية، والثاني: إجازة بمؤلفاته ومؤلفات من أجازه بمؤلفاته وخاصة للشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، أما الإجازة الثالثة: فكانت بأسانيد الحديث، وخاصة حديث المصافحة للنبي ﷺ، منحها إلى الشيخ عبد الله السويدي العباسي المفتي، وغيره، ولا تخلو الرحلة من تحصيل الاطلاع على مؤلفات علماء هذا القطر وذلك ، والاستماع إلى الشروح

ونوادر الأخبار ونفائسها، وخاصة كرامات الأولياء وأقوالهم ومؤلفاتهم مثلما وجدنا ذلك في استفساره من الشيخ عبد الله العيدروسي عن كرامات ومؤلفات السيد عبد الرحمن العيدروسي وغيره كثير.

نقول ومما يسهل على الشيخ الصديقي رحلاته، هو سمعته الطيبة، وأخباره التي كانت تسبقه، فكان الناس في حالة حضور لاستقباله وضيافته، وتسهيل تنقلاته بشكل عجيب، بحيث لا يخلو مكان ومدينة في العراق ممن يعرف مكانته، فكانوا يهرعون لضيافته وتهيئة المكان والطعام وتلبية رغباته في زيارة المشاهد المقدسة والأضرحة الشريفة.

أهمية الرحلة وما تفردت به

دخل صاحب الرحلة الشيخ مصطفى الصديقي الخلوتي الصوفي العراق في وقت كان يشهد العراق حالة من الإبهام مقابل الأحداث الجسام التي كانت تواجهه، إلا أن الأولين لم يتركوا لنا من الوثائق إلا القليل مقابل ما كان يجري، وبالرغم من كون الرحلة ركزت على جانب مراقد ومشاهد الأولياء، والعلماء والمشايخ، إلا أنها عرجت على جوانب علمية واجتماعية وسياسية، خاصة وأنها كانت على امتداد العراق من الموصل إلى البصرة مروراً ببغداد، وكذلك في العودة. وسجلت هذه الرحلة لقطات بعضها مجهول بالنسبة لنا، والأخرى غامضة. ومن ذلك:

1 - إشارته لمسجد محمد الكازروني وهو من مساجد بغداد القديمة، لم يوثق في المصادر المتوفرة، وقد عين موقعه ومكانه في (الميدان) من بغداد.

2 - زيارته لتكية صوفية من إنشاء والي بغداد بقرب مرقد زمرد خاتون، فيها طلاب ودارسون، ولم تكن قد سجلت في هذه الفترة.

3 - زيارته لقبر ذنون المصري وهي أول إشارة إلى هذا القبر تاريخياً.

4 - إشارته لمرقد الشيخ عبد الله القريب من السراي، والذي يعتقد أنه دفين جامع الملك والذي لم يكن يعرف سابقا هوية دفينه.

5 - كشفه لهوية منشئ جامع الحاج فتحي، والذي كان تكية قادرية سابقاً ببغداد.

6 - ذكره لأسماء علماء بغداد ومدن العراق لم تذكرهم المعاجم والفهارس والمصادر ولا نعرف عنهم شيئاً، مثل الشيخ يونس مفتي بغداد والشيخ إسماعيل مفتي الحلة. ومفتي البصرة، وشريحة كبيرة من العلماء

والأئمة والخطباء ببغداد وجنوب العراق.

7 - تعريفه بالتكية البكتاشية في كربلاء وشيخها إسماعيل دده.

8 - ولأول مرة يرد ذكر اسم شيخ التكية البكتاشية في خضر إلياس ببغداد وهو الشيخ خضر.

9 - تعيينه لقبر الصوفي الكبير منصور بن عمار.

10 - أعطى مقطعا حقيقيا للجانب العلمي والروحي والصوفي السائد في بغداد، والذي نفتقر إليه، وتفتقر إليه رحلات السياح الأجانب البعيدين عن مثل هذه الجوانب كل البعد.

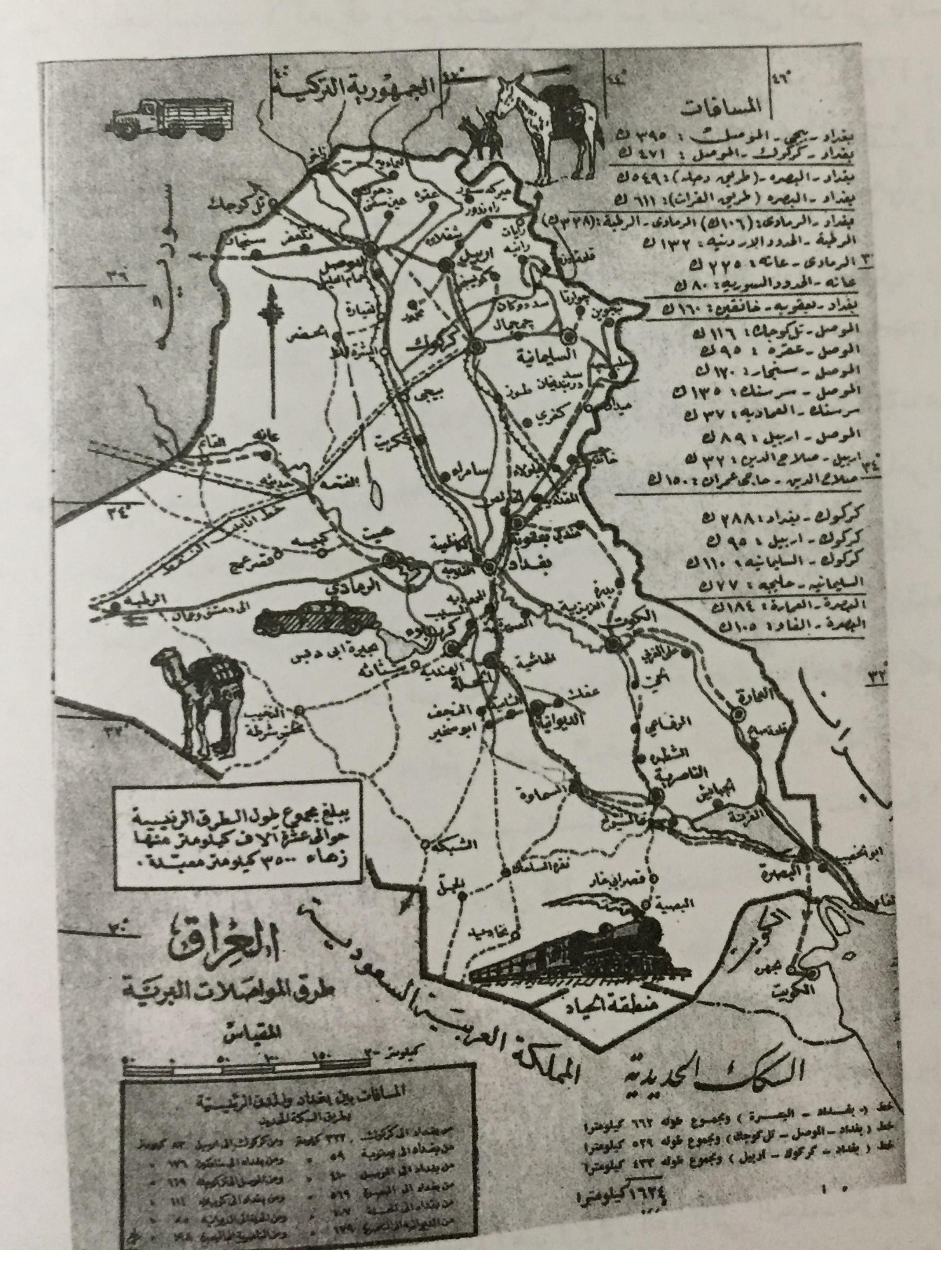
11 - في عرض قل نظيره يكشف لنا صاحب الرحلة عن جانب في شخصية الشيخ محمد بن مانع المنتفكي أمير المنتفك وبر البصرة، في كونه رجلا متدينا صاحب أوراد وأذكار صوفية، وهذا ما لم يرد في كتب التاريخ.

12 - تعيينه لموقع قبر الشيخ علي ابن الهيتي الواقع مقابل مرقد حذيفة بن اليمان في المدائن عبر الشط، هذه المنطقة التي كانت تسمى زريران في العهد العباسي وهذا المرقد مجهول الموقع لدينا تماماً، رغم كون دفينه من كبار الصوفية.

مسار الرحلة والمدن التي مر بها

عزم الشيخ الصديقي على زيارة العراق وهو لا يزال في بلاد الروم، وتعوق بها أربعين شهرا وأياماً لسبب لا نعرفه ولم يفصح عنه، ثم قال حتى أذن لي بالسفر، وغادر تركيا من منطقة (الأسكدار) 3 محرم 1139 هـ الموافق 3 أيلول 1726 م إلى الديل ثم عنك، ثم أزنيل، ووصل قونية 22/ محرم / 1139 هـ وبقى فيها عشرة أيام بانتظار القافلة، ثم توجه إلى حلب، ومنها غادر يوم الثلاثاء ثاني ربيع الأول 1139هـ، إلى المزار، ثم نهر الفرات، والمعدية، وأورفة، ومرج ريحان، وكاور هوري، وقلعة الصاطلمش، وداسرة، ونصيبين، والرميلة ووصل الآجي أول ربيع الثاني 1139 هـ الموافق نهاية عام 1726م، ثم دخل الموصل وبعد قيامه بزيارات الأنبياء هناك، والأضرحة خرج منها، إلى الدور، والعاشق والمعشوق والآثار قرب سامراء، ثم سامراء، فالدجيل، ودخل بغداد، وفي بغداد أقام في الحضرة القادرية، وزار مراقد الأولياء الصالحين واستمر فيها أكثر من ثلاثة أشهر، ثم غادرها في 3 /شعبان / 1139 هـ من عام 1727 م، من جرف الحلاويين باتجاه جنوب العراق المدائن، القطينة، أبو الغزلان، الحي، أبو الريش، هور الحمار، البصرة وفيها، زار مراقد الأولياء والصحابة (رضي الله عنهم)، ثم ذهب إلى السراجي لمقابلة الشيخ محمد بن مانع المنتفقي حاكم بر البصرة، في 14 ذي القعدة 1139هـ، ثم قفل راجعاً إلى بغداد، نهر عمر، نهر صالح، العصفورية، العرجا، نهر السايح، السماوة السلامية، الناصرية، أم المجاري، حسكة، العواذل، الحلة واتخذها مستقراً له ومنها انطلق بزياراته، إلى الهندية، كربلاء، خيمكة، وعاد إلى الحلة، المحاويل بيرة، الدورة، بغداد، ومن بغداد زار كل الأولياء والصالحين بنية التوديع وكذلك الأصدقاء، وغادر بغداد في صفر 1140هـ / 1727م، إلى الجديدة وعبر جبال حمرين، تازة، ووصل الزاب الصغير في 15 صفر 1140هـ، ثم كركوك قرية زين

العابدين، قرية الشيخ حيدر، الزاب الكبير، ودخل الموصل في 23 صفر 1140 هـ وغادرها أول ربيع الأول، إلى صفية، الرميلة، الباب الحديد، سنجار، الجراحي، تل أرنؤوط، نصيبين، ماردين وصلها يوم الأحد العاشر من ربيع الأول 1140هـ والذي يوافق مع المولد النبوي الأنور، وانتهت رحلته المسماة بـ(الرحلة العراقية). وتكون الرحلة قد استغرقت أربعة عشر شهرا منها اثنا عشر شهراً تقريباً داخل العراق.



المخطوطة وتحقيقها

ذكر في بداية المخطوطة اسمها كما أطلقه عليها صاحب الرحلة الشيخ مصطفى الصديقي الصوفي الدمشقي وهو " كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان " وهذا الاسم يشبه إلى حد ما، جلاء الخاطر ومعناه إزالة ما يتراكم على القلب والباطن من شوائب وأكدار، فتتم إزالته بجليه لإظهار معدنه ولمعانه.

إلا أنه في آخر ورقة من المخطوطة ذكر - ولربما الناسخ - اسمها (الرحلة العراقية) وهو الاسم المختصر لها.

ونسختنا هذه من مخطوطة في جامعة كمبردج ببريطانيا وهي بحالة جيدة، وتتكون من أكثرمن (137) ورقة في الأصل، وبالاستنساخ صارت إلى 273 صفحة وهي لم تطبع لحد الآن.

ولكون الشيخ الصديقي الصوفي، له أسلوب أدبي خاص به في الاسترسال والكتابة، فإن هذه الرحلة أهملت من قبل الكثيرين، لأن عباراته مقعرة وربما متكلفة، وكلماته فيها الكثير من المصطلحات الصوفية الشائكة على غير أهله، لذا بقيت هذه المخطوطة طي الخزائن والرفوف. وعند حصولي عليها، ترددت كثيراً في تحقيقها، لأن فيها إطنابا وإسهابا مما يفقدها تقريراتها وتحقيقاتها، وكان من قبل قد أشار الشيخ عبد الله السويدي في إحدى تقريظاته على كتاب للشيخ مصطفى الصديقي بهذا الرأي بأسلوب أدبي ذكي، فكتب عبارة تقول: (كم ضاع من خلال التراكيب ريح التحقيق).

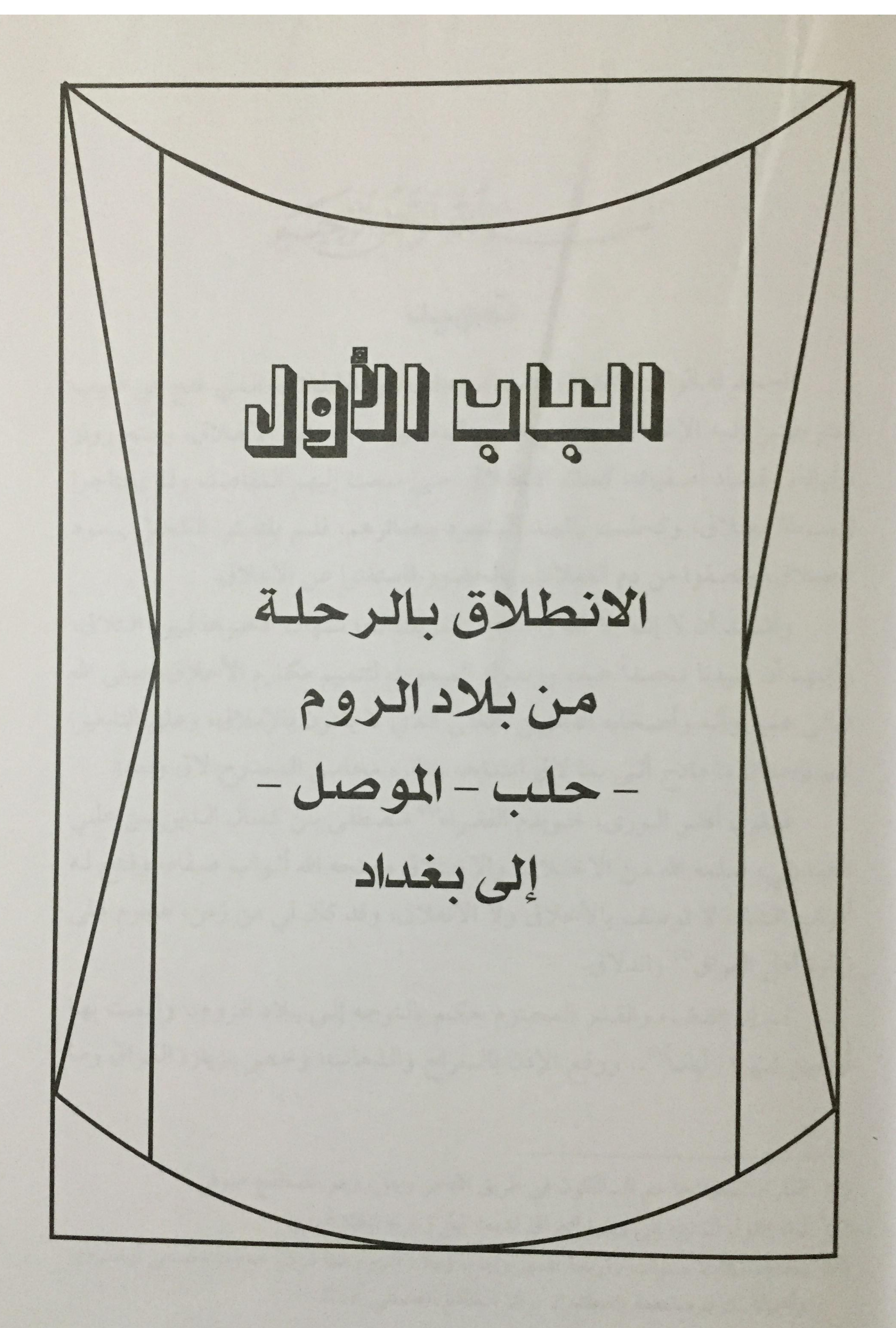
والعبارة واضحة، فتراكيب الشيخ الصديقي الأدبية غارقة في الأشكال، ومستغرقة في الوجدانيات، حتى ضاع الكثير من التحقيق والتدقيق وسط هذه العبارات.

وفي الآخر وجدت حلاً منصفاً لصاحب الرحلة ولمن يريد الاستفادة منها لما فيها من فوائد نفيسة عزيزة بالنسبة للمؤرخ، فقمت باختصارها بحذف القصائد والرسائل والإنشاء، دون التدخل بالنص أو في التقديم والتأخير، أو تغيير العبارة، وإنما حذفت الجوانب الشخصية وقصائد الشعر الكثيرة التي وردت في المخطوطة، وكذلك رسائله الشخصية التي أرسلها من العراق إلى الشام والتي لا تحتوي على أي تحقيق أو أخبار، بل تتضمن شوق البعد والوجدانيات، وبذلك تمكنت من تهذيبها وتشذيبها إلى الثلث تقريباً

أو أقل من ذلك، وأبقيت على المادة العلمية والمعلومات التأريخية كما جاءت في نص المخطوطة دون تدخل مني وهو نهج مستساغ إذ أن شيخ المحققين العلامة عبدالسلام محمد هارون اتبع هذا النهج مع السيرة النبوية فأخرج للقراء مهذبا لها.

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الرحلة

ولما وصلنا الباب استقبلنا المقر العلي، فوقفنا وقرأنا الفاتحة.



الباب الأول

الانطلاق بالرحلة
من بلاد الروم
- حلب - الموصل -
إلى بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الواسع الخلاق البر الرؤوف على الإطلاق، الذي فتح عن قلوب المتوجهين إليه الإغلاق، وجعل صبح المقبلين عليه دائم الانفلاق، ومنح زوار أوليائه، وقصاد أصفيائه، كمال الانطلاق حتى سعت إليهم المقاصد، ولم يحتاجوا لوساطة معلاق، وكحلت بإثمد الشهود بصائرهم، فلم يلتفتوا الكحل يسود الحملاق، وتصفوا من دم الغفلات، بالحضور فاستغنوا عن الأعلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم التلاق، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق، صلى الله تعالى عليه وآله وأصحابه الفائزين بالغنى الذي لا يقترن بالإملاق، وعلى التابعين لهم بإحسان ما مادح أثنى بما لاق امتداحه بنظاره محاسن الممدوح لاق وبعد:

فيقول أفقر الورى، خويدم الفقراء[1] مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي، سلمه الله من الاختلاف والاختلاق ومنحه الله أثواب صفاء، وفتح له أبواب اقتفاء، لا توصف بالأخلاق ولا الانغلاق، وقد كان لي من زمن، هجوم على زيارة أهل العراق[2] واندلاق.

ثم إن القضاء والقدر المحتوم حكم بالتوجه إلى بلاد الروم.. وأقمت بها أربعين شهراً وأياماً[3].. ووقع الإذن بالسراح والذهاب، وخص بزيارة العراق وما

---

(1) الفقراء اصطلاحاً هم السالكون في طريق الله عز وجل، وهو مصطلح صوفي.

(2) أراد القول أن نيته إلى زيارة العراق قديمة قبل زيارته لبلاد الروم.

(3) بحدود ثلاث سنوات وأربعة أشهر وأيام، وبلاد الروم هنا تركيا عموماً وتسمى أرضروم، وأحياناً تكون مختصة بإسطنبول مركز الحكم العثماني آنذاك.

والاها من الرحاب[1]، فعزمنا التوجه إلى ذلك الطرف لنفوز بالمنحة. وقطعنا إلى أسكدار[2] يوم الأحد ثالث محرم الحرام مصبحين، سنة 1139هـ، وبتنا ليلة بالخلا من ليلة ذات ابتهاج، عند الصديق الأمجد الشيخ محمد، واضح المنهاج، وفي ثاني يوم ورد علينا الوالد الأمجد[3] السيد محمد المغربي الأوحد مودعاً.. وبعد الظهر من ذلك اليوم ورد علينا الأحباب والأصحاب، وصحبنا أربعة من إخواننا، وسرنا معهم إلى قرية كبيرة، ومنها إلى (الديل) وعبرناه ولم نر فيه غير الجميل، وسرنا إلى القرية التي تسمى (عنك)، وبتنا في خان[4] يمنح النازلين من البرغوث رمزه، ومنها إلى قرية النصارى ثم منها إلى (أزنيل) ذات المياه التي تتسابق وتتجارى ومنها إلى (أفكان).. حتى وصلنا (قونية) يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم الحرام[5]، وأقمنا بها عشرة أيام ننتظر قافلة الحرم المتوجهة إلى حلب ذات الوجه المنير.

---

(1) أطلق على رحلته هذه (كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان)، والحقيقة أن تفاصيل الزيارة اقتصرت على العراق، وتسمى أيضا (الرحلة العراقية).

(2) أسكدار: مدينة تركية في تركيا الآسيوية، بنيت فوق منحدر على شكل مدرجات مقابل القسطنطينية، فيها مساجد جميلة ومقبرة تركية كبيرة. كانت تابعة لمدينة خلقيدونة (قاضي كوي)، واليوم ضاحية من ضواحي إسطنبول.

انظر موستراس المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص 66. والحقيقة أن أسكدار، أو اسكودار، كان فيها رمز الدولة ومقر الحكم، ومنها ينطلق السلطان العثماني في حملاته وعندما أرادالسلطان مراد الرابع التوجه إلى بغداد، في الحملة العسكرية المعروفة، وأول ما عمله، هو إخراج العلم السلطاني (الطوغ الهمايوني) وثبت أمام أسكودار، بتاريخ 23 ذي الحجة 1047هـ / 1638م وانطلق من هذا المكان، وقد لبس زياً عربياً مشبهاً نفسه بالخلفاء الراشدين على رأس حملة عسكرية كبرى إلى بغداد، وللتوسع انظر، علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني.

(3) الوالد الأمجد، يقول الصوفي السالك واصفاً شيخه بـ(الوالد) لأنه لا يقتصر على منحه العلم فقط بل معه الآداب والسلوك والمعاملة، فيتحقق الشيخ في مقام الوالد، والمريد السالك في مقام الابن.

(4) الخان: مكان يستخدم للمبيت بين المدن، وكانت هذه الخانات منتشرة في المنطقة ومنها العراق، ومنها خان النص، أي في منتصف الطريق.

(5) كونه انطلق في شهر محرم فيعني بداية السنة الهجرية 1139هـ، والذي يوافق مطلع شهر أيلول من عام 1726 م.

حلب

وفي يوم الثلاثاء الثاني من ربيع الأول[1] عزمنا بعد الظهر على التوجه من تلك الديار قاصدين أرض العراق وهاتيك الأمصار.. لما كوى القلب الفراق ونما الشوق لسكان العراق. ثم لما صرفت وجه التوجه لهذه الرحلة الأرفعية الأشرفية المسعودة المحمودة الأجمعية الأعرفية، أحببت أن أسميها (كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدن)[2].

ثم إنا توجهنا من حيلان سحرا، وماء الغرام في الحشا تبحرا، فبتنا ونزلنا قريباً من الجسر الذي ماؤه يصل إلى حلب ذات السنا، ثم سرنا منه إلى ساحة مرتفعة، قريباً من عين ماء سائلة غير مجتمعة.. وفي نيتنا التوجه منها إلى قرية (المزاره).. ووصلنا المزار ونحن في معاناة للبرد والمطر[3].. وتوجهنا مع الركب مجدين لنقطع المعبر، ثم انفردنا عن الركب إلى أن وصلنا الفرات، ودخلنا (المعدية) ونحن على ظهور الدواب سراة، وقصدنا تلاً فيه غار متسع، ونزلنا مع رفقتنا ذلك المحل المرتفع.. ولما على سمعي[4]، تلى السر وصفه، تشوق قلبي نحو تلك المآثر:

وكنت بأرض الروم ملقى أروم	أن أسير فلم يؤذن بسير لخاطر
ولما أراد الحق يسرى لنحوه	تسهلت الأسباب دون تعاسر
فسرت لهوفاً نحو شهباء[5] نائلاً	توقف قلبي غائبا غيرها حاضر
ومنصور[6] يخل النور عمار عامر	الفؤاد بسر ظاهر محاله طاهر

---

(1) الثاني من ربيع الأول سنة 1139هـ / تشرين الثاني 1726 م.

(2) وفي نهاية المخطوطة أشار الناسخ إلى أنها (الرحلة العراقية).

(3) كان الشتاء قد حل في تشرين الثاني.

(4) سمعي: من السماع وهو السماع الصوفي وهو أنواع، ومنه سماع الشعر لإثارة الوجد، وهو المقصود هنا.

(5) حلب الشهباء.

(6) منصور بن عمار، من كبار مشايخ الصوفية سيذكره بعد قليل.

وشيخي إمام وقته غيث زمانه ... هو الهاشمي الباز عبد القادر[1]

كذا السهروردي ابن عمي وسيدي[2] ... وغيرهم من منجدي وناصر

أممتهم أسعى على العين نحوهم ... لأحظى بقرب من حبيب مسامر

إلى قوله:

ويا ربنا صل وسلم على الذي ... بنور هداه السنا صفاء سائر

وآله والصحب من كل ماجد ... مدى الدهر ما بغداد لاحت لناظر[3]

أورفة

وكتب ليلة وصولنا إلى أورفة، وكنا سرينا إليها بليل لم يغف لنا طرف وصلناها قبيل الفجر ثم نزلنا خانها الطر والغرام أوفى، وبعثت كتاباً إلى الشيخ أحمد ذي الورد والصفا، وصدرته بقصيدة مطلعها:

سوابق تخصيص فهي سرها التي ... سوائق تنصيص بها حصل إليها

وأرسلت منها كتاباً إلى الصهر المحترم، جناب الشيخ إسماعيل أفندي الأفخم الجراحي الأكرم وصدرته بقصيدة وهي:

وقصدي منها أن أسير لوصله ... بلاد بها الأحباب أهل المفاخر

ومنها إلى بغداد مأوى أكابر ... موت لحديث المجد عن كل كابر

كموسى إمام الفضل كاظم سره[4] ... رفيع مقام جل عن حصرها سر

---

(1) الإمام عبد القادر الكيلاني (قدس سره)، توفي 561 هـ ببغداد ودفن في رواق مدرسته وسنترجم له.

(2) الشيخ أبو النجيب السهروردي، وابن أخيه الشيخ عمر السهرودي، ولكون الشيخ الصديقي أصله ونسبه يرجع إلى أبي بكر الصديق(ﷺ)، وكذلك الشيخ عمر وأبو النجيب، لذا قال (ابن عمي وسيدي).

(3) وتظهر هنا مقاصده واضحة من هذه الرحلة، وهي زيارة الأولياء والصالحين في أرض العراق، وخاصة منهم، أئمة التصوف في بغداد.

(4) الإمام موسى الكاظم (ﷺ)، ومرقده في الكاظمية ظاهر يزار.

ومنهم إمامي نعمان[1] ذو التقى وأحمد[2] المحمود فوق المنائر
ومعروف الكرخي والسري جنيد وشبلي[3] كاسر كواسر
وبشرينا الحافي وذو النون[4] والصفا يناله الذي وافاهما صفو خاطر
كذا أحمد النوري[5] ذو النور والسنا وحماد دباس[6] حماة العشائر
وداودنا الطائي[7] حلاج قطنة وبهلول مهطول الندا عند زائر

وفي يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول ورد علينا المحب الأمجد الحاج محمد ابن الحاج حسين الصباغ الموصلي، والصديق الحاج محمد البيطار وبعض رفقائهم الكرام وجماعتهم الفخام فتآنسنا بهم حصة أزالت عن الفؤاد غمته، ثم ذهبوا وجاء على أثرهم بعدما كان صحبتهم في الأول الصديق الذي لا يتحول، الشيخ على البغدادي المتشرف بخدمة[8] شيخنا.. الشيخ عبد الغني[9] المرشد الهادي.. وبصحبته رجل سيماء أهل المحبة عليه بادي، يقال له محمد جلبي فدعانا لداره.. فأجبته لما رأيته للإجابة صادي، وأخبرني أنه داع أولئك النفر من

---

(1) الإمام أبو حنيفة النعمان، الإمام الأعظم، وقوله (إمامي نعمان) إشارة إلى كونه حنفي المذهب، وضريح الإمام النعمان في الأعظمية، ظاهر يزار.

(2) إشارة إلى الإمام أحمد بن حنبل.

(3) أئمة التصوف في بغداد، معروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد البغدادي، وأبو بكر الشبلي، أضرحتهم في مناطق متفرقة من بغداد.

(4) وبشرينا، أراد القول البشر في بشر الحافي، والبشر بذي النون.

(5) أبو الحسين النوري، وضريحه في الأعظمية.

(6) حماد بن مسلم الدباس، من كبار متصوفة بغداد، توفي 525 هجري.

(7) والشيخ داود الطائي والحلاج، وبهلول من عقلاء مجانين الصوفية، وسنفصل القول في تراجمهم وسيرهم، ومراقدهم، فيما سيأتي من صفحات، لأنه سيقوم بزيارتهم بعد وصوله بغداد واستقراره فيها.

(8) (بخدمته) والصحيح (بخدمة)، وعبارة خدمة عند السادة الصوفية، تعني القيام مع الشيخ في حله وترحاله، لأخذ العلم والسلوك منه.

(9) الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي، من أشهر مشايخ الصوفية، له مؤلفات كثيرة تربو على المئتين، وله كرامات معروفة توفي بدمشق 1143هـ، وهو من شيوخ مؤلف هذه الرحلة انظر: يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج2، ص 200.

الموصليين المخلصين ودادي، فسرت بصحبتهم قبيل الغروب لداره.

وفي يوم الأربعاء العاشر من شهر ربيع الأنور الراقي، بالمولد الشريف على غير لظهور السر الأبهر جرى على اللسان ارتجالاً، ورسمه المنان حالاً:

شـــهر ربـــيع الأول شـــهر رفـــيع المنـــزل

إذ فـــيه مـــن الـــرق بـــداو خيـــر الرســـل

فـــيا لـــه مـــن شـــهر خيـــر كامـــل مكـــتمل

وفي صبيحة ذلك اليوم شرعت في تسويد (شرح الصلوات البكرية) وسميته (المدد البكري على صلوات البكري) فأتممت الثلث الأول منه، وفي يوم الخميس أتممت الثلث الثاني، وجاءنا صحبة الداعي لداره الصديق.. السيد عبد القادر المشهور (بالمعبر)، فسر بنا وسررنا به.. وقصصنا عليه بعض الوقائع[1]، نعبرها إذ هو المعبر أحسن تعبير حسنه رائع، ثم إنا ودعناه وتلميذه الشيخ علي الدياربكري، ومحمد جلبي المحتسي كأس الاعتقاد البكري[2].

ثم إنا في ثاني يوم، وهو يوم الجمعة لم يؤذن للقافلة بالمسير لأمر اقتضاه سابق التقدير.. وسرنا اليوم السبت قبيل الفجر إلى قرية يقال لها (مرج ريحان) وفيها أتممت شرح الصلوات.. ومنها أخذنا ذخيرة أربعة أيام لمسيرنا في الشول[3] الخالي الأنام، وبتنا في برية ممتدة الجوانب، تردها الأجانب من كل جانب، وفي ثاني يوم وصلنا إلى ماء عين يجري، ومدامع السحب تسح وتجري، قريباً من قرية (كاور هوري).. وورد على الفؤاد ونحن في الطريق نسير بعض أبيات في مدح الطلسم الكبير، الإمام الهمام النحرير، المقدام الضرغام الخبير، الأستاذ الأعظم الرباني، والملاذ الأفخم الصمداني، سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس الله سره النوراني، وأمدنا بمدده السبحاني، وقد أثبتها مع زيادات تورث التهاني مطلعها:

دعتني دواعي الحب من قبل جيلان لـزورة فـرد القـرب مفخـر جـيلان

---

(1) الوقائع، يعني بها الواقعات وهي الرؤيا والأحلام.

(2) على الطريقة البكرية الخلوتية.

(3) الشول: أهل العراق يقولون (جول) البرية الخالية.

إمامي وشيخي في الصبا[1] حيث إنه حباني وحيالي نصائح عرفاني

وأشرت بهذا البيت إلى واقعة رأيته فيها (رضي الله عنه)، وأنا جالس بين يديه في خلق راجٍ مما لديه، وهو يملي علي نصائح عرفان تفاض عليه، فمن ذلك اليوم تحققت أني منسوب إليه[2]:

ولي خلعة الرضوان[3] أهدى بلا امتداء فنلت بها الإحسان من فيض ضمره

وأشرت بهذا إلى هدية مرسلة منه إليَّ وهي خلعة الرضوان التي وردت علي:

من الروم قد وافيت أسعى له على الرأس سيري بل على جفن أجفاني

أيا بهجة الأكوان يأسر سرها ويا نور نور العين يا قدوة الداني

أبا صالح[4] يا غوث كل مؤملة أغثني فإني في محبتكم فاني

أبا صالح بالله فاشفع لطالح كئيب معنى مسرف مذنب جاني

أيا من له شأن عليّ وسؤدد وليس له بين الأحبة من شاني

ومن وقع الإذن الشريف بأن يصرح فيما نال من فتح سبحاني

فقال على أعناق كل مقرب له قدمي[5] هذا فأذعن ذو شان[6]

ثم إنا سرنا إلى (قلعة الصاطلمش) والسحاب قطر عيونه، وتسح فلا تشح جفونه، ولم يكمل لنا الحبور تلك الليلة والتي تليها، لأنا لم نرتحل عنها لتوحل الطريق لديها، ثم إن اللطف حق والمطر خف، وسرنا سمراً إلى قرية (داسرة قليلة المياه.

(1) إشارة إلى تعلقه بالإمام الكيلاني في صباه.

(2) منسوب إلى الطريقة القادرية.

(3) الخلع تمنح من قبل المخدع وهو موضع ستر القطب، وكان الإمام عبد القادرالكيلاني في هذا المقام.

(4) يكنى الإمام الكيلاني بـ(أبي صالح) وكذلك (أبو محمد).

(5) مقولة الإمام الكيلاني المشهورة (قدمي هذا على رقبة كل ولي لله)، ويعني بها طريقتي هذه في عنق كل سالك ومرشد وولي، والشيخ الصديقي يذعن لها هنا كما فعل المشايخ من قبل.

(6) للقصيدة تكملة اقتطعنا هذا الجزء منها، وكذلك فعلنا في باقي الرحلة، بحذف أشعار وجدانية وشخصية له، لأجل الاختصار.

نصيبين[1]

ثم سرنا إلى (نصيبين) ذات النصيبين، فكنا للحظ مصيبين، وتأهبنا منها لأربعة مراحل. ووصلنا (الرميلة)، وقد هد طوله من العبد حيله، وأتعب خيله ثم إنا سرنا منه (الآجي)، وكل منا لفضل مولاه راجي، ومنه إلى الجسر المكسور فانجبر به القلب المكسور، وشهدنا فيه هلال ربيع الثاني[2]، فسبحنا وحمدنا وكبرنا مولانا الله في تلك المغاني.

الموصل

وسرنا خامس ساعة من الليل نحو (الموصل) ذات النيل، فوصلناها يوم الثلاثاء، ضحوة النهار ونزلنا (خان الآغا) المعد للتجار، وصبت تلك الليلة الأمطار.. وذهبنا يوم الخميس لزيارة الصديق الرئيس الشيخ عثمان القادري المصان ابن الشيخ يوسف الخلوتي الراقي، ذروة الإحسان، ولما عرفنا أكرم نزلنا، وحضرنا معه الذكر على الطريقة القادرية[3]، وتبركنا بحضور تلك الروضة الجنانية، وذهبنا بعد أن تناولنا ما تيسر من الطعام، لدار صديقنا الحاج محمد ابن الصباغ لأجل المنام، وفي الصباح بعدما ذهبنا إلى الحمام، توجهنا مع رفاقنا الحجاج إلى زيارة سيدنا يونس (عليه الصلاة والسلام)[4]، فزرنا معهم تلك القباب العلية، وتمرغنا في

---

(1) نصيبين، وعند الترك (نزيبين)، بلدة تركية آسيوية (الأناضول)، في لواء ماردين على أحد روافد الفرات، وتقع على الحدود السورية مقابل القامشلي، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص 479.

(2) ربيع الثاني، يقابل كانون من نهاية عام 1726م وسندخل بعد أيام عام 1727م.

(3) الموصل وما حولها كانت من قلاع الطريقة القادرية، لوجود الشيخ عبد العزيز ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني فيها في جبل حيال، وفيها عدد من التكايا القادرية منتشرة في ربوعها. والموصل ذكرها صفي الدين البغدادي في مراصد الاطلاع، ج3، ص 1333، قال (المَوصِل) بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كبراً وعظماً، باب العراق، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق.. وهي مدينة قديمة الأساس.. وبينها وبين بغداد أربعة وسبعون فرسخاً، ما يعادل اليوم (500)كم.

(4) مدينة الموصل مدينة الأنبياء فيها نبي الله جرجيس أيضاً، ويقع قبر نبي الله يونس (عليه السلام) على

هاتيك العتبات الزكية، وصلينا الجمعة هناك، وحضرنا بعدها واعظاً من العباد النساك، ثم ودعنا السيد المعظم بعدما دعونا الله تعالى لنا ولأحسابنا في ذلك المقام الأفخم.

ولما نزلنا من زيارة السيد الأعظم ذكر لنا بعض من معنا، في زيارة سيدي أحمد بن عيسى الخراز[1]، ذي القدم وتعلل البعض ببعد المسافة، وكنا دعينا لدار صديقنا محمود القصاب مع الحجاج ومقصده الضيافة، فقرأنا له فاتحة الكتاب من تلك الأعمال الرفيعة القباب، وقلت في مدحه الآن، لما ذكره الفؤاد الآن:

هـيا وهـيا مبتغـى الأعـزاز ... لأبـي سـعيد أحمـد الخـراز

نجـل لعيسـى مـن شـذا عـبق ... الأكوان طيباً فـاق طـيب حجـاز

وكنت عشية يوم الخميس السابق على هذه الزيارة زرت سيدي ومولاي نبي الله جرجيس وتوسلت إلى الله بجاهه أن يمنحني والأحباب كامل التأنيس، ووافر التأسيس... وذهبنا بعد الزيارة اليونسية لدار الداعي، وبتنا عند صديقنا الحاج محمد الصباغ الذي للود مراع.

وفي يوم الاثنين دعانا صديقنا الشيخ عثمان [القادري]، بلغه الله منزل الإحسان صحبة الحجاج وأتانا ووجهه في ابتهاج، فحضرنا معه الذكر.

وسرنا مع صديقنا الحاج محمد بالغ المراد، وعدنا في الصباح إلى الحد، نسبح بحمد مولانا محرك الفلك، وقد قوي العزم، واشتد الحزم على النزول في الكلك[2].

تلة مرتفعة، وتم تجديده بهيئة من الحجر الأبيض في الثمانينات وصار الصعود إليه بمدرجات ويتخذه إلى اليوم مشايخ الصوفية مقراً لأذكارهم.

(1) الإمام الخراز، أبو سعيد أحمد بن عيسى، بغدادي صحب ذا النون، والسري السقطي، وهو من كبار المشايخ وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء، مات سنة ، 286 هجري، وأول إشارة إلى مرقده في الموصل، وذات أهمية في دراسة هذا الإمام الكبير. وذكر مرقده أيضاً الشيخ ياسين العمري في غاية المرام.

انظر: السلمي: طبقات الصوفية، ص 228، وما بعدها. وكتابنا الإمام الخراز.

(2) الكلك: واسطة نقل نهري تستخدم في أنهار العراق لنقل البضائع والمسافرين.

وفي ليلة الجمعة الحادية عشرة من شهر ربيع الثاني.. لم يؤذن لنا بالنزول في كلكات الموصل لورود الدياربكرية.. فتأخرنا لأجل النزول بها وبتنا عند صديقنا الحاج محمد الصباغ.. وفي يوم الاثنين وردنا على رفاقنا الخلوة التي في الجامع الأحمر لاستقرارهم بها، خوفاً من هول البرد الذي هو الموت الأحمر[1]، وجلسنا في تلك الساحة على كؤوس الصفا، ونأخذ طوسها بالراحة، وكنا صلينا الجمعة فيه لما مدح ذلك الجامع بعض المحبين من قلبه وبغيه وكنت سودت قصيدة مدحت بها العارف ذا الشأن صاحب الفيض والمدد الهتان، سيدي عبد الرحمن قضيب البان[2] (قدس الله سره).. وكانت زيارته تقدمت يوم الوصول.

حدثاني يا من حبي حدّ شاني   من قديم الشمول لا الحد ثاني

إلى قوله:

وأناس غابوا بشرب وقرب   ابن برجان أو قضيب البان

زيارة الإمام علي رضي الله عنه[3]

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الثاني المثبت في الفؤاد ربيع التهاني، قصدت في الصباح زيارة أولي الوجوه الصباح أولاه ذي المقام العلي المحي والطالب، سيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ومنحنا بالقرب إليه وجهه، وقلت مشيراً لهذه الزيارة المباركة السنية المبلغة كل أمنية:

لقد زرنا ذوي المجد الأثيل   أوله نيل يفوق فيوض النيل

---

(1) مصطلح (الموت الأحمر) عند السادة الصوفية: هو مخالفة النفس، انظر الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 129.

(2) من كبار الأبدال، كان مع الشيخ عدي بن مسافر، وطلبه الشيخ عبد القادر، بقي في صحبته عشرين سنة، وزوجه بنته الواحدة ثم سلفت فزوجه الثانية، الحسيني الشريف، ولجماله سمي قضيب البان، من الموصل وتوفي بها سنة 570 هـ، مرقده ظاهر يزار ولأهل الموصل فيه اعتقاد.

انظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، 367، وما بعدها.

(3) لا زال في الموصل، ويقول زرت الإمام علي (كرم الله وجهه)، وضريح الإمام في النجف، لذا فإما وقع تصحيف في المخطوطة من الناسخ، أو أنها زيارة روحية قلبية والله أعلم.

الشيخ قاسم الرفاعي

وورد علينا صديقنا ذو النظر الباسم، الشريف الحسيني الشيخ قاسم.. ودعانا فأجبناه.. ذهبنا لداره صحبة رفقائنا.

وكنت طلبت (البهجة الرفاعية) من صديقنا الشيخ قاسم الرفاعي منحه الله منحة سنية، لأقف على نسب سيدي أحمد الرفاعي، قدس سره، الجامع الوافي، فنقلته هنا متبركاً بذكره المورث الهنا فهو رضي الله عنه:

أحمد بن أبي الحسن علي بن يحيى ابن الثابت ابن الحازم ابن أحمد بن علي بن الحسن بن المهدي بن أبي القاسم محمد بن أبي الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني[1] بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي (كرم الله وجهه) (ورضي الله عنه).

هذا نسب والده ونسب أمه ينتهي إلى الأنصار من بني النجار أولي المجد والسؤدد والفخار.

وفي يوم السبت بعد أن صلينا الظهر بخصة، سرحت الأكلاك، وسرحنا معها فنزلت الغصة، بعد أن ودعنا الأصدقاء الكرام.

وكان قبل المسير بيسير طلب من الحقير، الصديق الخطير الشيخ قاسم المتقدم ذو الود المنير الذي للواعج مثير، أبياتاً أذكر فيها ما يجريه الملك الكبير، مدحاً في أولاد عبد الجليل[2] .. فأجبته مرتجلاً...:

سلام طاب من رب جليل ... أخص به بني عبد الجليل

---

(1) نصحح النسب وكما يلي: (السيد أبو القاسم محمد بن الحسن بن موسى ابن السيد الحسين ابن السيد أحمد ابن السيد موسى الثاني.. الخ) وهو نسب حسيني صحيح، انظر السيد محمد أبو الهدى الصيادي - كتاب الكنز المطلسم ، ص 4، وهناك عشرات الكتب التي تؤكد هذا النسب الشريف.

(2) آل عبد الجليل، من أعيان وحكام الموصل المعروفين.

أويس القرني[1]

وكنت زرت في الموصل مرقداً يقال إنه لسيدي أويس القرني. قدوة أهل اليمن الفاضل الفاصل ذي الفيض الطري.

محمد ابن الحنفية[2]

وزرت فيها (الموصل) مرقداً، أنواره ليست خفية، يقال له قد حل به محمد ابن الحنفية وقد توسلت بجاهه إلى رب البرية.

عبد الله بن عمر

وسرنا يوم الأحد بعد صلاة الصبح، ذاكرين للواحد الأحد.. ورأيت نفسي سائراً على وجه الماء بالأنفاس.

وفي صباح يوم الاثنين سرحت الأكلاك، دون منن، ولم نزل نسير إلى أن وصلنا لقبة شامخة الأطناب، باذخة الجناب[3]، فسألت عمن حلها؟ فأجابني بعض الصحاب وقال: عبد الله صاحب طه فخر قاب نجل الفاروق، سما، عمر العمر باقتراب، فقرات فاتحه وإخلاصا.

ويسمونه أيضاً بالسلطان عبد الله[4] (رضي الله عنه وأرضاه) فقلت موالياً، لما

---

(1) أويس بن عامر القرني وقيل ابن عمرو القرني المرادي، خير التابعين، عابد زاهد، أوصى به النبي ﷺ ووصفه لأصحابه، لبسه خرق، وأكله كسر، اختلف في مكان موته، يوم صفين، يوم نهاوند، وقيل خرج غازياً لأرمينية فمات، وذهبوا ليحفروا له قبراً، فوجدوا قبراً مجهزاً في صخرة فدفنوه ، فلما فرغوا. لم يروا شيئاً، نقول وأرمينيا بلاد فوق الموصل، وهذه إشارة مهمة لمرقده.

انظر: المناوي، الكواكب الدرية، ج1، ص 212.

(2) محمد ابن الحنفية: ذكر أن النبي ﷺ رخص له بالجمع بين اسمه وكنيته، عالم عابد واسمه الكامل (أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب) (رضي الله عنهما)، وعرف عنه أنه شديد القوة، توفي بحدود سنة إحدى وثمانين، انظر ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص 165.

(3) يكون هذا المرقد إلى جنوب الموصل وهم ينحدرون بالنهر على بعد مسافة يوم وليلة.

(4) عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وصفه الإمام أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، بالزاهد، المتتبع للأثر قال فيه عبد الله بن مسعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه

أتينا فناء السلطان عبد الله نجل الإمام عمر صاحب رسول الله، ناديت: يا صاحب المختار جد بالله، واشفع لمحبك لوجه الله.

علي ابن الكاظم[1]

وقبيل العصر وصلنا قبة على الشط، تدلى عليها نور المهاب والشط، فتوجهت نحوها بالقلب والقالب لما تحققت أنه علي نجل الكاظم من صميم بني غالب، وقرأت له فاتحة الكتاب مع ما تيسر وأهديتها لذلك الجناب الأرفع الأبهر.

الشيخ علي بن داود التكريتي

وسرنا للغروب على صفاء، وما زلنا نجد إلى محل قد سماه أهلوه الكليكامحل، وبتنا فيه.

وضحوة يوم الثلاثاء، ونحن نسير، أوقفنا الصديق الشيخ علي بن داود التكريتي ذو الود المستنير، على درج، بخط شيخنا الهمام الكبير الشيخ عبد الغني ذي المدد الغزير وصورته[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، لقد وصل إلينا وزارنا وحضر دروسنا الشاب الصالح والناجح الفالح، الشيخ علي بن داود

=

عن الدنيا عبد الله بن عمر، سمع الكثير وروى الحديث ، حلية الأولياء، ج1، ص 272 وما بعدها.

(1) قد يكون مقاما، أما المرقد فهو في إيران، والمقصود هنا علي الرضا ابن موسى الكاظم (رضي الله عنهما)، وذكره المسعودي في تاريخه، ج4، ص 28، حين بايع المأمون علي بن موسى الكاظم الرضا بولاية العهد، وزوجه بابنته أم حبيبة، وتوفي في طوس سنة 203هـ وصلى عليه المأمون.

(2) هذه نسخة إجازة من الشيخ الصوفي الكبير عبد الغني بن إسماعيل النابلسي إلى الشيخ علي بن داود التكريتي، والتي يظهر فيها سفر التكريتي إلى دمشق وحضوره دروس النابلسي وقيامه على خدمته إلى حين حصوله على هذه الإجازة، وسيذكره بعد أسطر باسم علي البغدادي، والحقيقة أن تكريت في ذلك الوقت تقع ضمن ولاية بغداد.

التكريتي، ولازمنا مدة وخدمنا بما وفقه الله تعالى له من التوفيق، أسعده الله تعالى وحفظه من كل سوء وأعانه في كل طريق، ومكث عندنا في بيتنا في صالحية دمشق الشام، أناله الله تعالى ما يتمناه من كل مقام، ونحن نوصيه بتقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً وبالإخلاص في الأعمال والمحافظة على الصدق في الأقوال والأفعال والأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد وجميع الآل وعلى أصحابه أجمعين، وعلى التابعين، وتابع التابعين بخير وإحسان إلى يوم الدين.

كتبه العبد الفقير إلى مولاه الخبير

الختم

يا محسناً لمن يسيء بفرط حلم أقدسي	عبد الغني المدرس بالسليمية
كن يا إلهي راحماً عبد الغني النابلسي	في صالحية دمشق الشام المحمية

وكتب تحتها: الشيخ محمد الخليلي كان الله له.

وكتب تحتها: الشيخ الصديقي إجازة بطريقة النظم والشعر جاء فيها:

على نجل الداوود ومولده	في حلة شرقي بغداد قد نزلا

وكان المذكور قد صنع لشيخنا قصراً بإشادته من الأخشاب، ينقل لأي مكان أراد، على ظهور الدواب، وبعد أن تم نصبه في وادي كيوان، وعمل فيه أبياتاً حساناً أثبتها في الديوان[1]:

أن وادي كيوان ألطف وادي	وهو طبق المنى وطبق المراد

إلى قوله:

حيث قصرٌ لنا هناك لطيف	صنع ذي فطنة من الأعواد
وهو درويشنا المحب الذي	قد جاء مسرعاً علي البغدادي

وبعد أن سرنا، وكان العصر.. وبتنا عند جبل مكحول.

---

(1) من لطائف هذه الرحلة كشفها عن قيام الشيخ علي بن داود، بصنع قصر من الخشب يمكن تفكيكه وحمله على ظهر الدواب، ثم نصبه في أي مكان كان، وهو أقرب ما يكون اليوم إلى مفهوم (الكرفان) الذي ينقل إلى أي مكان لغرض الراحة في البرية.

السيد محمد الدري

وعند بزوغ الشمس سرنا والوجد مهمي نتجارى إلى زيارة الإمام سيدي علي الهادي وسيدي حسن العسكري، وقبل الوصول إلى تلك الرحاب التي عمها النور وصلنا إلى قصبة يقال لها (الدور)[1] وقد حلها سيدي محمد[2] المرفوع الستور نجل سيدي موسى الكاظم المشهور، وكان له من الأولاد نحو الثلاثين منهم هذا السيد المذكور.

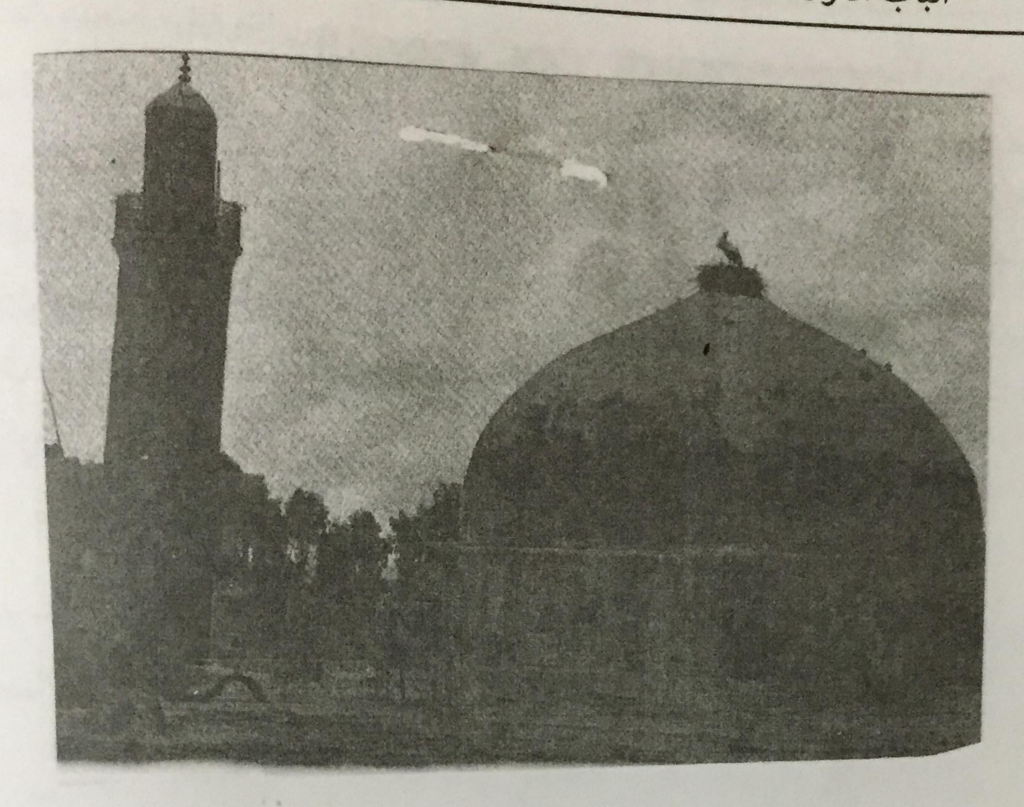
فقرأنا له الفاتحة مع ما تيسر من كلام العزيز الغفور.

---

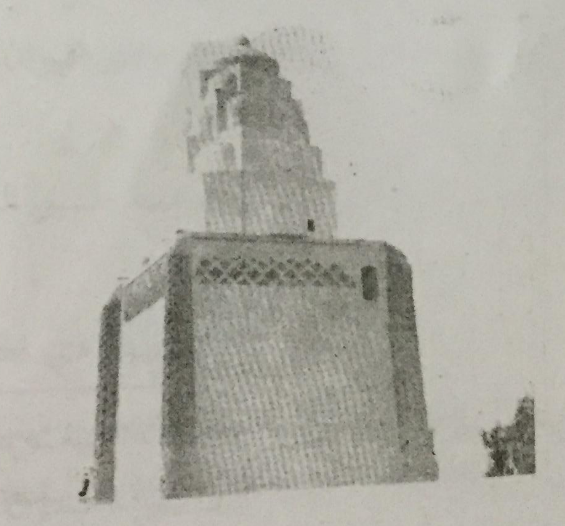
(1) الدور: إشارة إلى موضعين، الأول دور عرباي وتنسب إلى الشيخ محمد ابن الطرخان الدوري توفي بعد منتصف القرن الرابع الهجري، والدور الحالية التي يشير إليها الصديقي.

(2) اختلفت الآراء حول الإمام محمد الدري، فمنهم من يقول إنه ابن الإمام الكاظم، وآخرون يقولون هو من آل البيت دون تعيين نسبه، والرأي الراجح هو الإمام محمد العابد ابن الإمام موسى الكاظم (رضي الله عنهما)، لأسباب: الأول: وجود رخامة قديمة على باب مرقده تقول: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن موسى بن جعفر، والثاني: هو تواتر الرواية واجتماعها عند أهل الدور على هذا القول.

وللتوسع انظر: علاء الدين العاني: المشاهد ذات القباب، ص 45، وما بعدها.



صورة قديمة - لجامع الأغوات في الموصل - صلى فيه الرحالة



قبة مرقد السيد محمد الدري في الدور

العاشق والمعشوق[1]

ثم إنا سرنا غير بعيد والفؤاد مشوق، وبتنا مقابلين للعاشق والمعشوق، وعندنا ربوة في الشام مزار يقال له العاشق والمعشوق أيضاً.

الإمام العسكري وعلي الهادي

ثم إنا وصلنا في صباح يوم السبت إلى سر من رأى[2]، المنبثة المسرة، أرضها أي بنت ولاحتنا أنوار قبة سيدي الإمام حسن العسكري[3] ذات الجمال الناري، وقبة والده سيدي الإمام علي الهادي[4]، عليها الرضا التام ما ارتوى بالوصال هادي.

قرب بغداد

وبتنا ليلة الأحد محاذين لقرى الدجيل[5]، وسرنا قبيل الفجر ولم تقف الأكلاك ليلة الاثنين عن السير، بل سارت كالسيل أو كالطير.. ولم نزل نسير والحق لجوده يهون علينا العسير.

---

(1) العاشق والمعشوق قصران في سامراء، تحاك حولهما القصص، والصحيح هو قصر للخلفاء ومنشآت عباسية.

(2) سر من رأى: مدينة سامراء، التي بنيت في العهد العباسي وانتقلت إليها الخلافة العباسية في حقبة من الحقب، ذكرها ياقوت الحموي قال: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً يقال لها سر من رأى خففها الناس وقالوا سامراء، بناها المعتصم ونزلها في سنة 221هـ ومن بعده الواثق: معجم البلدان: ج3، ص 173 وما بعدها.

(3) الإمام حسن العسكري ابن علي. وعسكري نسبه إلى مدينة سامراء، توفي في سامراء سنة 260هـ ودفن قرب أبيه، قيل استسقى به المعتمد ابن المتوكل، انظر: عيسى البندنيجي: جامع الأنوار، ص 161.

(4) الإمام علي الهادي ابن محمد الجواد، توفي في سامراء، وقيل دفن في داره، أقام فيها أكثر من عشرين سنة، توفي بحدود 213 هـ، المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 3516. تاريخ بغداد: 12 / 56.

(5) دجيل: اسم نهر.. دون سامراء، وهي مدينة ينسب إليها أبو العباس أحمد المدني الدجيلي: معجم البلدان، ج2، ص 443.

الإمام موسى الكاظم[1]

وأول من تلقانا من حماة مدينة السلام بغداد[2] سيدي موسى الكاظم، وجد محمد الجواد، قدسنا الله تعالى بأسرارهما.

---

(1) الإمام موسى الكاظم (ﷺ)، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا الحسن، وابا إبراهيم، وأمه أم ولد تدعى حميدة، وعند وفاته دفن في مقابر قريش، وقبره ظاهر يزار في كاظمية بغداد، وترجمه صاحب مقاتل الطالبين، ص 413، وكانت وفاته سنة 183هـ، وولادته سنة 129هـ، تاريخ بغداد، ج13 / 32، ولقب بالكاظم لكثرة حلمه وتجاوزه، وكان أعبد أهل زمانه، وعرف بسخائه وكرمه، مروج الذهب: ج2، ص 280، صفة الصفوة: ج1، ص 103.

(2) بغداد: كتب عنها الكثير، وجمع ما كتب عنها في فهرست ضخم باسم (جمهرة المراجع البغدادية) لكل من عبد الحميد العلوجي، وكوركيس عواد، سنة 1962، شمل على (5357) مصدرا وكتابا ووثيقة ومقالة، ونوجز القول: بما ذكره الخطيب البغدادي في مجلده الأول من تاريخ بغداد، ص 62، من أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور، اختار هذا المكان ليكون عاصمة لخلافته، فاختار مكانا وسطا بين دجلة والفرات وسميت (مدينة السلام) لأن (السلام) اسم من أسماء الله الحسنى، فهي (مدينة الله) في سلامه على أهل الأرض، وجعلها في بدايتها مدورة، وتم بناؤها بحدود عام 145هـ / 763م، ثم قصدت من العلماء والفقهاء، والتجار، والشعراء، فكانت قبلة الناس، حتى قيل فيها (بلدة طيبة ورب غفور) وخصها الشعراء بالمديح، ومنها قول الشاعر الهمداني:

فدى لك يا بغداد كل قبيلة ... من الأرض حتى خطتي ودياريا

وقال أبو بكر بن عياش: الإسلام بغداد، وإنها لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا، تاريخ بغداد: المجلد الأول، ص 107، ، نقول وبغداد أشهر من أن توصف، ومعرفة أكثر من تعريفنا لها، ونكتفي بهذا القدر.

الباب الثاني

بغداد

المراقد والمشاهد
- والمساجد والتكايا -
والعلماء والمشايخ

الإمام أبو حنيفة النعمان[1]

ثم إنا قدمنا إلى ساحة الإمام الأعظم ذي القدم المقدم، أبو حنيفة النعمان بن ثابت التابعي على الصحيح، صاحب المذهب المُذهب، والقول المرجح، ومناقبه أفردت بالتأليف وأفرزت بالترصيف.

وبتنا هناك إلى أن لاح عمود الفجر فسعينا لأبوابه كي نحظى بزورته بوافر الأجر.

---

(1) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التيمي ولاءً، ولد بالكوفة 80هـ أدرك جماعة من صحابة رسول الله، لذا يعد من التابعين، وصار من أهم الفقهاء والمحدثين وله مؤلفات منها: مسند الإمام أبي حنيفة، المخارج في الفقه، والفقه الأكبر: كلفه أبو جعفر المنصور بالقضاء، إلا أنه رفض واعتذر، ألفت في مناقبه الكتب من قبل كبار علماء الأمة، منها أخبار أبي حنيفة لمحمد بن عبد الله الشيباني، ومناقب الإمام أبي حنيفة لموفق المكي، وغيرها وترك بعده تلامذة منهم أبو يوسف الأنصاري، وتوفي الإمام في 150هـ ودفن في الجانب الشرقي من بغداد، وفي عام 173هـ توفيت الخيزران والدة هارون الرشيد، ودفنت قريباً منه، وصارت تسمى مقبرة الخيزران، ودفن فيها الكثير من الفقهاء وكبار العلماء، وصار له مشهد، وبدأت تسمى مقبرة الإمام الأعظم، وصارت المحلة التي حوله تسمى محلة (الأعظمية).

ثم أقيم جامع عند مشهد ضريحه بحدود القرن الثالث الهجري في العهد العباسي، وصار أهم ثلاثة جوامع في بغداد مع جامع المنصور وجامع السلطان، ووسعه 459 هجري شرف الملك أبو سعد محمد الخوارزمي، وبنى بجواره مدرسة، وكان فيه زاوية للفقراء، والزوار تقدم الطعام، شاهدها ابن بطوطة في رحلته عام 727هـ، ص 176 واستمر هذا الجامع والمشهد في التوسع واستمر عبر السنين تعقد فيه حلقات الدرس، بالرغم من تعرضه لهجمات عبر التاريخ كما حدث أيام المغول ونكبتهم لبغداد في 656هـ، وقتلهم للخليفة العباسي المستعصم، مما حدا بالسيدة عصمة الدين والدولة شاه لبنى الأيوبية زوجة أحمد ابن المستعصم إلى إنشاء مدرسة (المدرسة العصمتية) في المشهد 671 هـ وكذلك رباط للصوفية، ودفنت هناك عند وفاتها 678 هـ، وتكنى أم رابعة.

وللتوسع انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج1 - ص 337. ومصطفى جواد، وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص 108، والخطاط وليد الأعظمي تاريخ الأعظمية: ص 27 - 33.

أبو بكر الشبلي[1]

وصلنا إلى سيدي أبي بكر الشبلي، رفيع المقام، فقرأنا له الفاتحة التي لأبواب المسرات فاتحة.

---

(1) أبو بكر الشبلي، من كبار شيوخ التصوف البغدادي، ولد في سامراء 247هـ واسمه الشائع دلف بن جحدر، واسمه على شاهد قبره جعفر بن يونس الشبلي، توفي سنة 334هـ مالكي المذهب، من عائلة كان أبوه صاحب الحجاب، وخاله نائب الإسكندرية، صحب العلماء، وكتب الحديث، وأخذ عن الجنيد البغدادي، واشتهر صيته في التصوف، وعلا مقامه في بغداد، وله إشارات وأقوال تظهر طول باعه، وجمع ديوان أشعاره الدكتور كامل الشيبي وعند وفاته شيعته جموع بغداد ودفن في مقبرة الخيزران، قرب مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان، على بعد أقل من مئتي متر إلى الجنوب الغربي، وقبره في حجرة مربعة وعليها قبة بيضاء تطل على شارع ابن النديم، وعلى قبره ستارة خضراء.

وجدد هذا المشهد عام 1319 هـ / 1091 م، وجدد عام 1382 هـ/ 1962 م من قبل الشيخ طه الكويلي، والمقيمون على هذا القبر أناس من ذريته موجودين إلى يومنا هذا، منهم رشيدة بنت السيد حميد التي قابلها مؤلف كتاب ديوان الشبلي قبل عام 1967 م، وفي ركن من المرقد وجد شاهداً كتب عليه (هذا مرقد قطب العارفين السيد جعفر بن يونس الشبلي قدس الله روحه، توفي في شهر ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، قد عمره حبه لله الكريم فخر العلماء الكرام الجلبي زاده السيد الحاج مصطفى أفندي القاضي ببغداد دار السلام في سنة 1318).

وذكر الشيخ هاشم الأعظمي في تاريخ جامع الإمام الأعظم، ج2، ص 162. أن السيد محمد ابن السيد علي تقدم بطلب عام 1278 هـ إلى السلطان العثماني عبد العزيز خان ابن السلطان محمود خان لإصدار إرادته بجعل ربع أملاكه وقفاً على الشيخ الشبلي المدفون بجوار الإمام الأعظم أبي حنيفة (ﷺ)، وصدر الفرمان يوم 19/رجب/1278 هـ ونشر صورة الفرمان مع ترجمته.

ولا زال هذا الضريح قائماً إلى يومنا هذا يزار ويتبرك به، ويسألون الله تعالى به حاجاتهم.

الشيخ فتحي[1] ابن الشيخ نعمان القادري

(1) الشيخ فتحي كما سماه صاحب الرحلة أو الحاج فتحي كما يعرف في بغداد، وشقيقه عبد الوهاب القادم من الموصل مع المؤلف، فهم من أصل موصلي، إذ كشفت لنا هذه الرحلة عن شخصية ظلت مبهمة علينا لفترة طويلة.
والحاج فتحي كما تذكر لنا المصادر، أنه من أنشأ جامع باسم جامع الحاج فتحي لا يعرف بالضبط تاريخ إنشائه وتأسيسه، وجد على سقاية فيه تاريخ 1169هـ، وبضوء ذلك صار يقال أن تاريخ إنشائه 1169هـ، والسبب وراء ذلك عدم وجود كتابات أخرى يمكن الاستدلال منها على تاريخ تأسيسه بالضبط، كما أشار إلى ذلك محمود شكري الآلوسي في كتابه تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ص 105. وأضاف أنه مسجد صغير قرب جامع عبد الكريم الجيلي(تكية سابقا)، وفيه قبر الحاج فتحي، حولته الأوقاف حانوتاً، أما الدروبي في كتابه البغداديون، فذهب بعيداً عن الصواب، بقوله الحاج فتحي هو (دللي فتحي) قائد عسكري في جيش داود باشا ونزل بستان (عدول) في محلة العبا خانة وأنشأ هذا الجامع وأن في هذا الجامع قبر (جد حافظ القاضي)، ص 375، علماً أن داود باشا صار والياً على بغداد للفترة من 1232هـ - 1247هـ، والجامع أنشئ 1169هـ بحسب المصادر المتوفرة.
أما السيد محمد سعيد الراوي في كتابه خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد الذي حققه الدكتور عماد عبد السلام فيعتبر من أدق المصادر ومقاربة للواقع، إذ ذكر في ص 183: جامع الحاج فتحي، واقع في المحلة المسماة بمحلة الحاج فتحي، والحاج فتحي هذا رجل من الصوفية، وكانت هذه البقاع إذ ذاك خربة.. فبنى هذا المسجد واستوطنه، وصار له مريدون يترددون إليه فيه، ثم أعمرت المحلة المجاورة للمسجد، فسميت أيضاً باسمه كما سمي المسجد، وذكر الدكتور عماد محقق الكتاب في هامشه، تنسب هذه المحلة إلى الجامع المعروف بهذا الاسم وهو يشغل قطعة الأرض ذات العدد 67/1، وأزيل نصفه 1957 مع فتح شارع جديد، وأزيل نهائياً أوائل الثمانينات.
نقول:
الحقيقة هذا الجامع هو جامع الشيخ فتحي ابن الشيخ نعمان القادري الموصلي، من أعيان الطريقة القادرية وشيوخها، والده الشيخ نعمان جاء إلى بغداد واستوطنها وتوفي في رجب سنة 1137هـ. بعد أن أسس تكية ودفن فيها مع ابنه الشيخ حماد، والشيخ فتحي هذا كان حيا، لدى قدوم الشيخ مصطفى البكري الصديقي الخلوتي بغداد عام 1139 / 1140هـ. وفيما بعد تحولت هذه التكية إلى جامع باسم الحاج فتحي القادري ابن الشيخ نعمان، أما القبور التي فيه فهي لهذه العائلة الصوفية. ونشير إلى أن ربط تأريخ الجامع مع تاريخ السقاية لا يعول عليه، انتهى قولنا.
وذكر هذا الجامع في الكثير من المصادر: منها عبد الحميد عبادة، العقد اللامع، ص 405
=

وجلست بعد الإشراق عند باب محلة الخارج السامي الإشراف، منتظراً حصول دواب تحمل الأسباب إلى الحضرة القادرية، فتتصل الأسباب الظاهرية كاتصال الأسباب الباطنية.

وكان اصطحب معنا في الموصل، يقال له عبد الوهاب ولد الشيخ الصالح والناسك الفالح الشيخ نعمان، أحد خلفاء القادرية الأعيان، المتوفى في رجب الفرد عام ألف ومائة وسبعة وثلاثين، وتخلف ولده الشيخ حماد بعده، ولم تطل عليه المدة حتى لحق بأبيه، وكان على ما ذكر لي صالحاً ناجحاً نبيها، وأقيم في محله ولده الشيخ الصغير فتحي، قرب الله فتحه، فجاءني المذكور وعرفني بالشبه لا اليقين، وعرفته بالظن والتخمين، وأخذني الدار المعدة للفقراء، وأحضر بعدما زرت والده وأخاه القراء، ثم حضر أخوه المرافق لنا [عبد الوهاب] في الطريق والموصل، وفقه الله وإيانا لكل مقرب موصل، ووهبا لي عكاز أبيهما الشيخ نعمان.

دخول بغداد

ثم لما حضرت الدواب، توجهت بعد أن ركبت وصحبني الشاب عبد الوهاب (ابن الشيخ نعمان القادري)، إلى أن وصلت باب المدينة.

فنزلت لأني لا أحب الركوب فيها، وعن نفسي اعتزلت، ووقفت لدى الباب، وقرأت الفاتحة لأصحاب النوبة الأنجاب، وكنت قد قدمت بعض الهدايا القرآنية لأهل بغداد أمامي، كعادتي في غيرها، من كل قطر سامي.

-

ومعالم بغداد د. عماد عبد السلام، ص 26: ذكر فيه وقفية لخليل بن إسماعيل ابن الحاج حسن بن نعمان، تعود إلى 1291 هـ أي بعد وفاة الشيخ نعمان بمائة وخمسين سنة، ولعله أحد أحفاده.

وجاء في نص الرحلة عبارات مهمة منها: (وأخذني الدار المعدة للفقراء) المقصود بها تكية، وزار قبور (الشيخ نعمان وابنه الشيخ حماد) بقوله (بعدما زرت والده وأخاه) وأن لديه أخوانا آخرين منهم (عبد الوهاب) الذي رافق الشيخ الصديقي من الموصل إلى بغداد.

وذكر هذا الجامع أيضاً في دليل خارطة بغداد، ص 305، ص 310 والمحلة التي تنسب إليه محلة الحاج فتحي.

وبعد دخولي، طلبت مزيناً يزيل الشعور، وقد شكا الناس قلة المطر، وغلاء السعر[1].

---

(1)

من آداب الصوفية عند دخول
المدن والأمصار الإسلامية

يطالعنا هذا النص، على تحفة من تحف الآداب الصوفية، عند شروعهم بدخول مدينة إسلامية، بامتداد واضح لسلسلة آدابهم في هذه الحقبة، وفي تعاملهم مع كل شيء، فكل شيء عندهم، له أدب وطريقة ومعاملة مثلما وردت في كتبهم، فعندهم آداب للصحبة، وآداب مع الشيخ، والأكل، والزيارة، والمجلس... الخ ولكن هذا النص يلقي الضوء على أدب دخول مدن وأمصار المسلمين، فأول ما فعله الشيخ الصديقي وقبل دخوله بغداد:

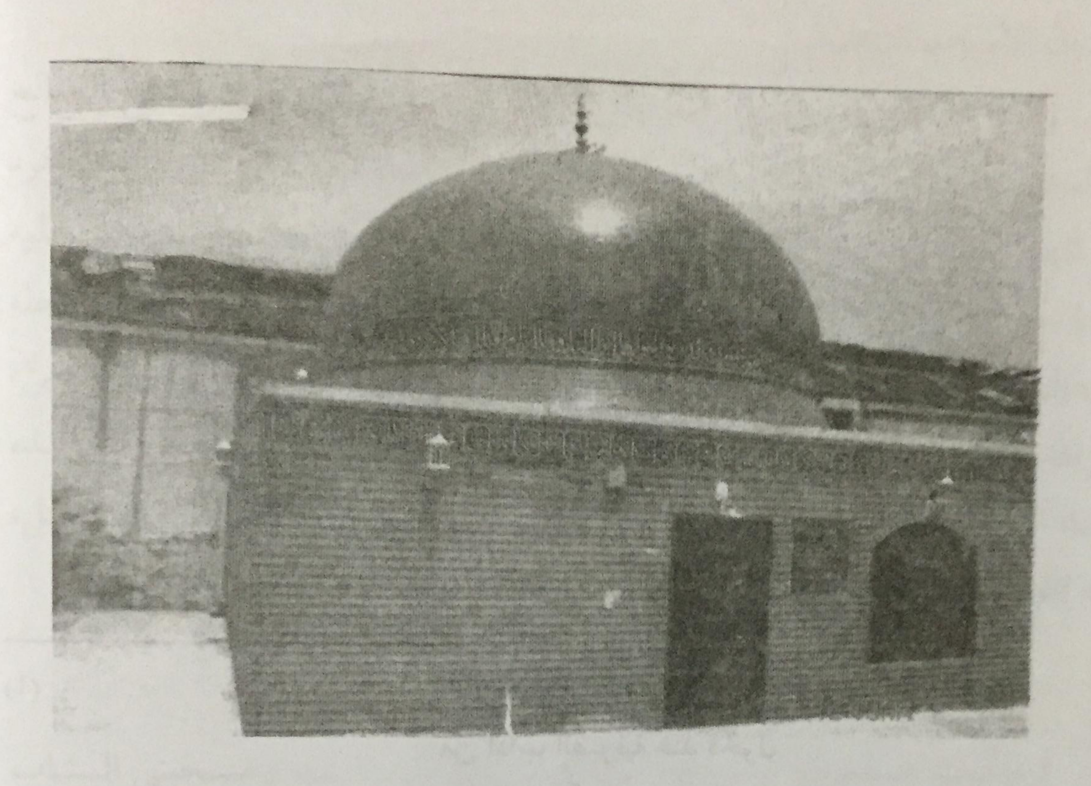
1 - أرسل هدايا قرآنية لمعارفه وأصدقائه لتكون فاتحة خير له، وأشعاراً لهم.

2 - نزل عن دابته لدى وصوله باب المدينة، من باب الاحترام لأهلها وأوليائها وأن يكون أول قدمه فيها قدم الأدب والتواضع.

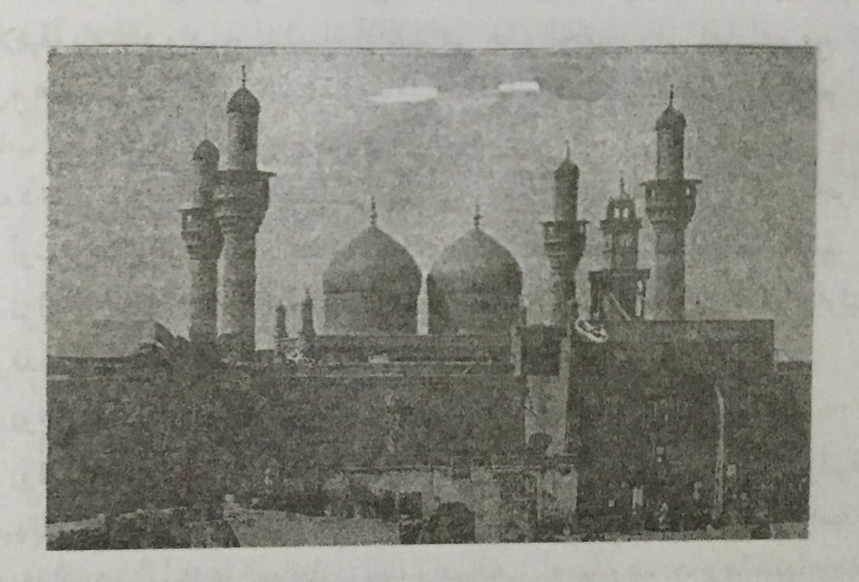
3 - (وعن نفسي اعتزلت) أي لا أرى لنفسي في مطالبها وهواها حقا عليّ.

4 - (وقفت لدى الباب، وقرأت الفاتحة لأصحاب النوبة الأنجاب)، الوقوف لدى الباب طلب الاستئذان بالدخول، (أصحاب النوبة) القائمون في نوبتهم على حراسة المدينة، وأهل نوبة بغداد، هم أولياؤها الحافظون لها، ولصالحي أهلها وعبادها وعلمائها ومشايخها.

وكما اتضح لنا من قبل، فإن صاحب الرحلة جاء من جانب الأعظمية باتجاه مدينة بغداد التي كانت وقتئذ محاطة بسور ولها أبواب، والباب المؤدي للأعظمية، هو باب المعظم، وسميت كذلك لأنها بمواجهة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (ﷺ).



قبة مرقد السيد سراج الدين الرفاعي ببغداد



مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد في الكاظمية ببغداد

الشيخ سراج الدين[1]

ولما وصلت جامع الشيخ سراج الدين قدس سره المتين، الذي بناه المرحوم حسن باشا، وكنت جزت بجامعه الجديد أيضاً، بلغه الله من الرحمات ما يشاء، وقفت لدى الشباك والأسواق في اشتباك[2]، ودعوت الله تعالى بعد الفاتحة أم الكتاب.

الإمام عبد القادر الكيلاني[3]

---

(1) هو السيد الشيخ سراج الدين محمد بن المبارك بن محمد بن خزام الواسطي الرفاعي البغدادي، من العلماء العباد الصوفية، توفي سنة 885 هـ / 1680م، ببغداد ودفن في الصدرية، وأول من زاره السلطان سليمان القانوني سنة 941هـ وذكر ذلك مطراقي زادة في رحلته ص 86 وذكره الشيخ عيسى البندنيجي في جامع الأنوار، ص 608 وذكر أنه جامع مشرف على الخراب، ناقلاً قول مرتضى نظمي في القرن الثاني عشر الهجري ووصفه محمد سعيد الراوي في خير الزاد: ص 194، قائلاً: وهو جامع كبير له بابان وتفاصيله في هامش للدكتور عماد محقق الكتاب، الذي ذكر أنه جده حسن باشا والي بغداد.

(2) هذه الإشارة كون جامع سراج الدين يقع وسط سوق.

(3) هو شيخ الإسلام، قطب بغداد، محيي الدين سيدنا عبد القادر الكيلاني الحسني ابن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ولد في بلاد جيلان ونسب إليها سنة 470 هـ وحصل على شيء من العلوم عند أهله وقدم بغداد سنة 488هـ، ليدرس في معاهدها، وعلى يد كبار مشايخها، وسلك التصوف على يد الشيخ حماد بن مسلم الدباس من كبار مشايخ بغداد، واتصل بالشيخ يوسف الهمذاني من كبار مشايخ التصوف، وسلك ودرس على الشيخ أبي سعيد المبارك المخرمي وأخذ عنه الإجازة العلمية في العلوم الشرعية والفقهية، وأجازه في التصوف، وكان المخرمي قد أسس مدرسة في باب الأزج من محلات بغداد، وفوضها إلى سيدنا عبد القادر الكيلاني، قبيل وفاته، سنة 513 هـ، وبعد استلامه للمدرسة قام بتوسعتها ضعف مساحتها وتم ذلك في عام 528هـ، وجلس فيها يدرس الطلاب الوافدين عليه من كل مكان، وكان قبلها قد جلس على كرسي الوعظ بحدود عام 521 هـ، حتى ازدحم مجلسه بالناس، فخرج يعظهم عند رباطه في سور بغداد، وسمي (رباط الشيخ)، وبعد عمر تجاوز التسعين قضاها في العبادة والدرس، ونشر طريقته التي أطلق عليها اسم (الطريقة القادرية) =

ولما أشرقت وأشرفت على القبة الخضراء التي حلها كنز الدرة البيضاء والقبة الخضراء، فرد البوادر والنوادر، مولاي محيي الدين السيد عبد القادر قدسنا الله بأسراره، وكلنا بشوارق أنواره، فقرأت له الفاتحة عند ذلك، وسرت إلى تلك المعاهد الجامعة لكل سالك، ووقفت ببابه واستأذنت في الدخول على عليّ جنابه، وبعد أن صليت ركعتي التحية،

-

وصارت فيما بعد من أكبر الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، توفي الإمام 561 هـ ربيع الآخر، ودفن في رواق مدرسته في يوم مشهود ببغداد، وبعد ساعات فتحت أبواب المدرسة لزيارته وتوافد الناس لزيارة قبره وقراءة الفاتحة، ومنذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا لم ينقطع الزائرون إليه، وهذه المدرسة صارت تسمى فيما بعد (الحضرة القادرية). إلا أنها نكبت وخربت مرات عديدة على يد المغول عام 656هـ وفيما بعد على يد الاحتلال الإيراني، وفي كل مرة يتقدم من يعمرها ويعلي مآذنها ويجددها، جددها سليمان القانوني 941هـ وكذلك مراد الرابع 1048 هـ، وتوالت عليها التجديدات من ولاة بغداد، والعائلة الكيلانية في بغداد، وكان آخر تجديد لها في نهاية التسعينات في توسعة كبيرة شملت الكثير من مرافقها حتى صارت أضعاف مساحتها السابقة، إلا أن الاحتلال في 2003 أوقف البناء، وعاد بعد ذلك ولكن ببطء شديد، ومنذ عهد الإمام عبد القادر الكيلاني كانت هذه المدرسة تستقبل طلابا من بغداد ومن العراق وخارجه، فتوفر لهم المكان والطعام، واستمر هذا التقليد فيها، فمن ملحقات الحضرة القادرية المعروفة، مطعم الخيرات (الشوربخانة) مطعم الفقراء، والدراويش وعابري السبيل وغيرهم، وفيها غرف مخصصة للعلماء والمشايخ، والضيوف الذين دائماً ما يكونون من هذه الأصناف، وعندما وصل صاحب هذه الرحلة قال نزلت في (خلوة) ويقصد في غرفة من غرف الحضرة القادرية.

للتوسع انظر: الشطنوفي:بهجة الأسرار، والتادفي، قلائد الجواهر، وإبراهيم الدروبي:الباز الأشهب، ومقدمة الدكتور عماد عبد السلام على كتابه الآثار الخطية في المكتبة القادرية. وكتابنا قطب بغداد، وغيرها من الكتب.

ولا بد من ملاحظة أخيرة، لربما يتساءل القارئ، لماذا لم يقم الشيخ الصديقي أثناء طريقه من باب المعظم إلى الحضرة القادرية بزيارة الأولياء والصوفية الآخرين، وأنه قرأ الفاتحة من خلال الشباك للشيخ سراج الدين، نقول هذا تقليد وأدب صوفي قديم، لدى دخول مدينة يقوم الشيخ الصوفي بزيارة صاحب المقام الأعلى أولاً، ثم يزور الآخرين فيما بعد.

وأهديت له ألف سلام، وألف تحية دخلت مرقده الشريف[1] العرشي، ووقفت تحت أقدامه[2] التي تشرف بمواطئها المقر القرشي، ودعوت الله تعالى بما أجراه على لساني، وسبحت إذ سبحت في الحال شماع الشموس والضواحي، وتوجهت إلى الله تعالى بجاهه أن يمحو حجابي ويمن باقتراحي فإنه سيدي ومناحي.

وقلت بعد تلك الزيارة المسفرة:

أغثني أغثني صاحب القبة الخضراء[3] بمن سكنوا القبر واستوطنوا الخضراء

بقبضة نور أقدسي منزه وبالدرة البيضاء[4] والقبة الخضراء

ثم إني جلست في الخلوة[5] التي تجاه الباب راجياً قيل اللباب[6].

السيد فيض الله الكيلاني[7]

ورد عليّ أحد أولاد حضرة الشيخ، الأنجاب السيد فيض الله، بلغه الآراب...

---

(1) المرقد الشريف: قبره وهو مرتفع عن الأرض، وعليه قفص خشبي من خشب الساج توضع عليه الستارة ودائماً ما تكون خضراء، ومطرزة بالآيات القرآنية، وفوق كل ذلك قفص فضي كبير، وكان القفص القديم في أعلاه تاج مطرز بأسماء الله الحسنى، بعد استبداله بآخر جديد، ووضع القفص القديم على ضريح الجنيد البغدادي، وهو موجود إلى يومنا هذا.

(2) إشارة إلى مقولة الإمام الكيلاني التي شرحناها آنفاً.

(3) تكررت معنا لفظة (القبة الخضراء) في هذا النص ثلاث مرات، ولا نستبعد أن قبة الإمام في ذلك الوقت كانت خضراء، أو إحداها، ومما يؤكد ذلك الرسم الذي رسمه مطراقي زادة في رحلته مع سليمان القانوني بحدود عام 941هـ، إذ رسم مأذنتين للحضرة وثلاث قباب خضراء مزرقة إحداها وسطية كبيرة، وكان مطراقي زادة هذا دقيقاً في رسومه.

(4) (الدرة البيضاء) مصطلح صوفي يعني به العقل، وأحياناً يقصد بها در ماء السماء الخالص وهو غاية الصفاء، فينزل فتلقفه الأصداف في البحر فتتكيف بحسب المتلقي لهذا الماء. انظر القاشاني: لطائف الأعلام، ص 213.

(5) الغرف في الحضرة القادرية كانت بمواجهة مرقد الإمام ويفصلها ساحة صغيرة، هي عبارة عن مصلى صيفي آنذاك.

(6) (قيل اللباب) ما سيقوله باطني من إلهام وخواطر روحانية.

(7) هو السيد فيض الله ابن السيد علي النقيب الكيلاني، وصار فيض الله ايضاً نقيباً على الأشراف ببغداد في حدود عام 1150هـ.

السيد علي النقيب الكيلاني[1]

وبعد صلاة المغرب، دعانا لداره جناب صاحب النسب العالي والحسب الغالي، السيد علي المتولي النقيب على السادة، والمأذون له بالجلوس على السجادة[2]، فجلسنا عنده بعد العشاء إلى أذان العشاء، وعدنا إلى الجامع الذي للمسرات جامع وبتنا وفي الصباح دعانا أيضاً لرحابه، وأنشقنا عرف اقترابه، ورجعنا إلى الخلوة المذكورة.

وكرر الدعوة السيد وكررنا الإجابة، متبركين بآثاره المستطابة.

وكان السيد فيض الله أسعده الله، قد سعى لنا في خلوة أخرى هي أخف بوصف العزلة، وأحرى، فتحولنا إليها وبتنا لديها[3].

الملا محمود إمام مسجد محمد الكازروني

وفي ليلة الجمعة الثانية من جمادى الأولى، رأيت الوالد السيد محمد والأخ الشيخ مصطفى بن عمر، والصديق الشيخ علي الكتاني وغيرهم من العلماء..

---

(1) هو السيد علي النقيب ابن فرج الله النقيب ابن عبد القادر النقيب ابن إبراهيم النقيب الكيلاني بن شرف الدين بن أحمد بن علي الهاشمي الكيلاني، صار نقيباً على السادة الأشراف ببغداد من 1111 هـ إلى عام 1145 هـ، انظر: كتابنا تاريخ النقباء.

(2) نقيب الأشراف من السادة الكيلانية، له اختصاصات أخرى، منها تولية الأوقاف القادرية وشيخ السجادة القادرية، والاختصاص الأخير يتعلق بمنح الإجازات القادرية.

(3) بمعنى انتقاله إلى غرفة أخرى داخل الحضرة القادرية، وأنه كان بضيافة السادة الكيلانية، وكما أشرنا سابقاً فإن فيض الله هو ابن السيد علي النقيب، وهم القائمون على ضيافته في بغداد.

كما نشير هنا إلى وجود ثلاثة نقباء للأشراف ببغداد باسم علي النقيب، ولضمان عدم الخلط بينهم: الأول المشار إليه أعلاه، والثاني: هو السيد علي النقيب ابن السيد محمود الكيلاني ويسمى (علي الكبير) والد السيدة عاتكة خاتون صاحبة المدرسة المعروفة ببغداد والتي تخرج منها السيد أبو الثناء محمود الآلوسي المفتي صاحب تفسير (روح المعاني) وهؤلاء من ذرية السيد عبد الرزاق ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنهما).

أما الثالث فهو السيد علي النقيب ابن السيد سلمان صار نقيباً للأشراف من 1258هـ - 1289هـ والأخير من ذرية السيد عبد العزيز ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني (رضي الله عنهما).

وسررت برؤيتهم في المنام.. وفي يومها ورد الكثير من المحبين، منهم الملا محمود أحد العلماء والمشتغلين بالصلاة والتسليم على حبيب رب العالمين، فالتمس أن نتوجه لداره، لنسير منها صباحاً لزيارة معروف الكرخي، ومن بجواره قدمنا الله بأسرارهم وأسراره.

مسجد محمد الكازروني[1]

وأتينا إلى مسجد سيد محمد الكازروني، صاحب القدم الراسخ والمرد الباذخ الهتوني، (رضي الله تعالى عنه)، وداعينا المشار إليه (الملا محمود) يؤم فيه بجماعته حسيباً، ويخدم تلك الحضرة بما أملكنا حياة الله مدداً، وعدنا بعد المبيت للمسجد المذكور لنصلي الفجر، ونحظى بكامل الأجور، وكان لوقت الصباح باقي، فجلسنا نذكر الله تعالى الوافي الباقي...

---

(1) تفرد صاحب الرحلة الشيخ مصطفى الصديقي بذكر هذا المسجد، وتعيين مكانه فيما بعد في الميدان، وقرب قلعة بغداد، وهو من المساجد التي زال أثرها اليوم في بغداد، بل لم تذكر في الكتب والمصادر التي تناولت مساجد وجوامع بغداد سابقاً، وراجعنا الكثير من المراجع ولم نجد فيها شيئا يذكر عنه.

أما عن هوية المدعو (محمد الكازروني)، فالأخبار المتوفرة لدينا متضاربة، أولها (محمد بن عبد الله الكازروني) أو (محمد بن عيد الكازروني) شيخ صوفي توفي في مصر بحدود 773 هـ كما جاء في الكواكب الدرية للمناوي: ج3، ص 93، ونقل عنه يوسف النبهاني في جامع كرامات الأولياء. ج1، ص 239.

وفي روضة الناظرين للشيخ أحمد بن محمد الوتري، ذكر جملة من المشايخ الصوفية الرفاعية بهذا اللقب منهم (إبراهيم بن محمد البكري الكازروني) و(الشيخ محمد تاج الدين أبو الجوشن الكازروني نزيل حلب) و(الإمام الحجة الشيخ إبراهيم الكازروني البكري مؤلف كتاب شفا الأسقام) و(علي بن محمد الكازروني الرفاعي مؤلف كتاب آداب الأقطاب) ، و(الإمام المحدث عز الدين أحمد الفاروثي الكازروني) قال عنه الفاروثي: (رأيت الشيخ حسناً النقيب الشيرازي حفيد النقيب الموسوي ببغداد شاباً زكياً..) ص 63، ص 137، بما يفيد أن الكازروني كان في بغداد. وللتوسع انظر: كتاب غنية الطالبين للسيد أبي الهدى الصيادي، ص 177.

وكتاب التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد - للسيد أبي الهدى، ص 119 - ص 124.

الحلاج[1]

ثم سرنا بعد الصلاة سراعاً، وفتحنا للابتهال شراعاً، وأتينا الحلاج نبغي انتفاعاً واجتماعاً، على النبي وارتفاعاً، ولما وصلنا رحابه، وولجنا بابه[2]، دعونا الله تعالى لديه، وتوسلنا بقربه إليه، فإن الصحيح الذي عول عليه أهل المعرفة بالله، أنه من الصديقين السكارى، والمطلقين الأسارى، والمهتدين الحيارى...

---

(1) هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، نشأ بواسط، وصحب الجنيد والنوري وغيرهم اختلف المشايخ فيه، قسم منهم ردوا عليه شطحاته، وقسم آخر جعله أحد المحققين ومنهم محمد بن خفيف قال (الحسين بن منصور عالم رباني) من أقواله (أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، ومن حيث الحق حقيقة). دخل في محنة كبرى، فقطع وصلب وقتل، ببغداد بباب الطاق، لست بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلثمائة، وألفت فيه مؤلفات عربية وأجنبية كثيرة، وخاصة ديوان شعره الطواسين، وعلى وجه التثبت لا يعرف له قبر، وترجمته في وفيات الأعيان، ج1، ص 183، وشذرات الذهب، ج2، ص 253، وطبقات الصوفية للسلمي، ص 307. وكتب عنه ماسينيون شهادة دكتوراه من ألف صفحة باسم آلام الحلاج، وله فيه بحوث كثيرة. وأهم ما قيل فيه مقالة الإمام الكيلاني (عثر الحلاج ولم يجد من يأخذ بيده).

(2) وصف السيد عباس البغدادي في كتابه نيل المراد، ص 54 قائلاً (وقريباً منه مشهد داود الطائي، وتليه قبة أبي الحسين الحلاج). وعلق محقق الكتاب الدكتور عماد عبد السلام قائلاً: وقد أشار إليه سياح عديدون، أولهم ابن جبير سنة 580هـ / 1180م ولا حجة لهذا القول، لأن جثة الحلاج أحرقت وألقيت رماداً في دجلة. أما القبر المذكور فهو لمحمد بن أحمد القطان المعروف بابن الحلاج، وكنا أول من توصل إلى ذلك في مقالنا في جريدة البلد البغدادية بتاريخ 30/كانون الثاني/1966 م.

وذكر عبد الحميد عبادة في العقد اللامع، ص 458: قال وسبب قتله أنه جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله، فأفتى للقضاء والعلماء بإباحة دمه، فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، فتسلمه بعد العشاء خوفاً من العامة أن تنتزعه من يده، ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة 309هـ، عند باب الطاق وهي ببغداد بالجانب الشرقي، وخرج قوم كثير، وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط فما استعفى ولا تأوه، ثم قطع أطرافه الأربعة، وهو ساكت لا يضطرب، ثم حز رأسه، وأحرق جثته، وألقي رمادها في دجلة، ثم نصب رأسه ببغداد، ثم حمل وطيف به في النواحي والبلاد. فمن هذا ظهر أن القبر الذي ينسب له توهم وخيال، حيث ذهبت جثته رماداً في دجلة...

نقول: وماذا عن الرأس الذي طوف به في البلاد؟

معروف الكرخي[1]

ثم توجهنا إلى زيارة سيدي معروف بن فيروز الكرخي، ذي السر المسري على زائره، والمرخي قدس الله سره في الأسرار، ولا زال مرقده مهبط لتنزل الأنوار... يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب.

ولما دخلت الحضرة المهابة، والروضة المستطابة، صحبني الخضوع ورافقني الخشوع، وقادتني الذلة، وهتف بي هواتف الغلة.

---

(1) معروف بن فيروز، أبو محفوظ الكرخي، وقيل معروف ابن الفيرزان، من جلة المشايخ الصوفية، اشتهر بالورع، وكان قد أسلم على يد علي بن موسى الرضا، وكان يحجبه، فازدحم أتباع علي الرضا عليه، فكسروا أضلع معروف فمات، ودفن ببغداد، وقبره ببغداد ظاهر، قال السلمي في طبقات الصوفية، ص 85: وقبره ببغداد ظاهر يستشفى به، ويتبرك بزيارته، ونقلاً من إبراهيم ابن الجزري قال: قبر معروف الترياق المجرب.

قال عباس البغدادي في نيل المراد، ص 54: بمقربة [من قبر السري السقطي] من ذلك جامع جمعة فيه المشهد الأقدس والضريح الأنفس، مشهد مولانا الشيخ معروف الكرخي (رضي الله تعالى عنه). وذكر المحقق د. عماد عبد السلام في هامشه: معروف الكرخي، ولد ببغداد، وتوفي سنة 200هـ / 815 م وأقيم على قبره مسجد جامع كبير عرف في العصر العباسي بمسجد الجنائز، شيده الخليفة الناصر، سنة 612هـ / 1215م وعرف فيما بعد بجامع الشيخ معروف الكرخي وجدد مراراً وله تاريخ حافل.

ووصف العلامة محمود شكري الآلوسي في كتابه: تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ص 209، والمرقد في سرب من الأرض معقود عليه عقد بالآجر والجص، والصندوق الذي في المشهد اليوم إنما هو فوق السرداب على محاذاة القبر، وهذا السرداب طويل جداً، وعمقه نحو اثنتي عشرة درجة، وعلق الدكتور عبد الله الجبوري محقق الكتاب قائلاً: في المسجد فسحة تعلو على سطح المسجد القديم بأربعة أمتار، فيها بئر عميق، ماؤها عذب، ويقابلها نفق طويل أغلق في حدود سنة 1950م، والمظنون أن هذا النفق هو من بقايا الدير القديم، ودفن مع الشيخ معروف في قبره أخواه عيسى وموسى.

نقول: في نهاية الألفية المنصرمة، جدد بشكل كامل ووسع، وأزيلت الكثير من القبور حوله، وصممت له قبة غريبة تشبه الوردة وكذلك منارة، وأوصل باب المسجد بالشارع العام بطريق شبه معلق.

داود الطائي[1]

ثم سرنا إلى زيارة سيدي داود بن نصير الطائي (قدس الله سره) فتراءت قبته لنا، فلما سامتنا قبته السامية، وقفنا وقرأنا الفاتحة راجين إمداداته النامية...

السري السقطي والجنيد البغدادي[2]

ثم توجهنا إلى الجنيد والسري (قدس الله سرهما السري)، وهما في قبة واحدة، وعليها ومنها الأنوار هابطة وصاعدة.

وبعد أن دعونا الله تعالى عندها..

النبي يوشع (عليه السلام)[3]

تقدمت إلى زيارة مرقد سيدي يوشع (عليه السلام)، وقد زرته مراراً في المنية عند طرابلس الشام.

---

(1) هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائي، من كبار الزهاد، كوفي اشتغل بالعلم وكان يختلف إلى أبي حنيفة، وفي آخر حياته أغرق كتبه في الفرات توفي 165هـ، ومنه تمر الإجازات الصوفية وقيل إنه مدفون في الكوفة، إلا أن الإشارات إلى قبره هذا تعود إلى العصر العباسي، ويحدث خلط بينه وبين داود الظاهري، والأخير قبره قريب منه، وعندما أسست سكك حديد العراق، في العهد الملكي مرت سكك الحديد ومنشآتها في هذه المنطقة فخربت الكثير من مقابر الصوفية هناك.

انظر السلمي، طبقات الصوفية، ص 85، ومحمد سعيد الراوي، خير الزاد، ص 502.

(2) الجنيد بن محمد البغدادي أبو القاسم الخزاز (القواريري)، فقيهاً عالماً، سيد الطائفة، وشيخ الصوفية، وإليه ترجع الإجازات الصوفية، توفي 297هـ، وقبره ظاهر يزار في بغداد وبقربه بشكل ملاصق له من جهة الرأس إلى اليمين خاله وشيخه السري السقطي إمام البغداديين وشيخهم توفي 253هـ، وقبراهما في غرفة واحدة وعليها أقفاص الأول فضي والثاني خشبي، وخلفهما مسجد صغير.

انظر: السلمي، طبقات الصوفية، ومحمود الآلوسي: تاريخ مساجد بغداد، ص 206.

(3) غير بعيد من قبر الجنيد قبر نبي الله يوشع (عليه السلام) في غرفة تعلوها قبة، وعليه ستارة خضراء وقبره كبير.

البهلول[1]

ثم بحرنا لزورة البهلول، رشا عُد من فحول الفحول.

السيد أحمد القادري البغدادي

وعدنا إلى نحو ضريح الهمام سيدي داود الطائي المقدام، فرأينا قريباً منه، صديقنا في البيت المقدس النادي، السيد أحمد القادري البغدادي، فسر بنا وسررنا به، وأخذنا بعد أن أعدنا الزيارة لرحابه، وأكرمنا غاية الإكرام...

حبيب العجمي[2]

ثم سار معنا إلى زيارة سيدي حبيب العجمي، ذي السر الرضي (قدس الله سره السامي) ما أتى حانته ظامي...

---

(1) البهلول، وأطلق عليه في العهد العثماني بهلول ديوانة، من الحكماء المجانين، بعث إليه هارون الرشيد ليسمع منه، وكتب يوماً على قصر جديد للرشيد بالفحم على الحائط (قصوركم قبوركم قبوركم قصوركم). واسمه بهلول بن عمرو الصيرفي، وأول من أشار إلى قبره مطراقي زادة في رحلته، ص 93 - 94.

(2) صاحب الرحلة مصطفى الصديقي استخدم في هذا النص نوعا من الإلهام الصوفي، بقوله (فكان نسياني اسم حبيب العجمي موجباً لذكر شقيق، فرد الأفطار، فهو لشقيق بن إبراهيم البلخي) أراد القول أن المزار لعله لشقيق البلخي.

ومن بين مشايخ الصوفية أثنان بهذا الاسم الأول حبيب العجمي من أصحاب الحسن البصري وهذا لم يدرك بناء بغداد، والثاني حبيب العجمي نهاية العهد العباسي في القرن السابع الهجري أخذ عنه أبو الحجاج الأقصري، وأكثر الظن أنه من أهالي مصر وشمال إفريقيا، انظر: المناوي: الكواكب الدرية، ج2 / 365، ج4، ص 118. ج1، ص 263 - 264، وج4، ص 590 والراجح أن هذا المزار هو مرقد الشيخ عمر البزار من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني (ﷺ)، الذي عمر زاوية خاصة به في كرخ بغداد، وتوفي 608هـ، وذكرت المصادر أنه بنى رباطاً (زاوية) في الكرخ من بغداد بجانب مسجد الجانب الغربي قريباً من جامع العقبة، وأنه دفن فيه عند وفاته.

والجامع الحالي المسمى جامع حبيب العجمي عمره والي بغداد داود باشا 1235هـ، وجدد تعميره رشيد باشا ابن محمد فيضي الزهاوي المفتي، وعندما توفي رشيد باشا 1911م / 1329هـ دفن في إحدى حجراته، وجددته الأوقاف 1964م، انظر: خطط بغداد، ص 207، ص 299. ود. عماد عبد السلام معالم بغداد، ص 310 وغيرها.

وكان مرقده داخل روضة شرفة النوار، فعمرت خاناً لجنبه، وقرب أن يعتريه البوار، ولما أتيت الخلاة، نسيت اسم المزار، وحضرني اسم شقيق البلخي رفيع المنار، فكان نسياني اسم حبيب العجمي موجباً لذكر شقيق، فرد الأفطار، فهو لشقيق بن إبراهيم البلخي (قدس الله نوره)...

ثم أتى وودعنا صديقنا الأمجد السيد أحمد وسرنا صحبة الملا محمود، نجد في السير نحو زاوية الإمام المشهور، فوصلنا تلك الزاوية التي للهموم زاوية، قبل ظهر اليوم السبت بيسير.

الشيخ شهاب الدين السهروردي[1]

---

(1) هو الشيخ عمر بن محمد السهروردي، شهاب الدين أبو حفص، صحب عمه أبا النجيب السهروردي والشيخ عبد القادر الكيلاني، وحصل العلوم حتى فاق أقرانه، وصار له مجلس وعظ، وكان يبعث به كسفير إلى الممالك لهيبته وصيته وحضوره، له مؤلفات منها عوارف المعارف، وأعلام الهدى وأرباب التقى وغيرها، وبعد عمر طويل توفي 632هـ / 1235م، ودفن في مقبرة الوردية عند باب سور بغداد، الظفرية (الوسطاني) وأقيمت على قبره قبة مخروطية يعود إنشاؤها إلى 735هـ، وآخرون يقولون إنها تعود إلى زمن المستنصر باني المدرسة المستنصرية وهو الذي اهتم بالربط وبنى هذه القبة عليه. وبالإضافة إلى ضريح الشيخ عمر الذي تنسب إليه اليوم محلة كاملة تسمى محلة الشيخ عمر، نقول داخل الجامع قبر آخر قديم في حجرة، يعتقد أنه للخليفة المستعصم الذي قتل على يد المغول لدى دخولهم بغداد 656هـ وهذه وجهة نظر غير قطعية، لأن قبر المستعصم كما هو معلوم دفن في الأعظمية في (أم رابعة) من قبل كنته لبني الأيوبية زوجة ابنه أحمد، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ الصديقي بعد أسطر أنه زار الشيخ عبد الرزاق ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني في إيوان التكية، وهي التكية السهروردية التي تحدث عنها البغداديون كثيراً إلا أننا نعتقد أن الشيخ عبد الرزاق دفن عند الإمام أحمد.

إذ ذكر ابن الدبيثي في ذيل تاريخ مدينة السلام، ج4، ص 185، أن الشيخ عبد الرزاق دفن في مقبرة باب حرب وابن الدبيثي تلميذ الشيخ عبد الرزاق ومعاصر له، وهو أعرف من غيره به، نعود ونقول قبر الشيخ عمر ظاهر يزار شرقي بغداد داخل جامع الشيخ عمر وبقربه مقبرة يدفن فيها عامة الناس تسمى مقبرة الشيخ عمر.

المصادر: عيسى البندنيجي: جامع الأنوار، ص 541، وذكر محمود الآلوسي في تاريخ مساجد بغداد، ص 121، المدرسة الملحقة بهذا الجامع، عمرها إسماعيل باشا الباباني مع تعميره لمنشآت الجامع سنة 1273 هـ، وتولى هذا الجامع ومدرسته سلسلة من علماء العائلة =

وفي ليلة الثلاثاء بتنا في الخلوة، وفي الصباح ورد الصديق المسعود الملا محمود والصديق الأمجد السيد أحمد وغيرهما من المحبين. وعَن من معهم على زيارة الإمام الذي للمعروف مسد، سيدي شهاب الدين السهروردي الصديقي (قدس الله سره) ومضينا إلى مقام الشيخ عمر، عَمر له الله بأمداده غمر.

السيد عبد الرزاق ابن السيد عبد القادر الكيلاني[1]

السهروردية العباسية منهم الشيخ عبد المحسن السهروردي، والشيخ عبد الرحمن السهروردي الذي كتب تفاصيل ذلك في كتابه (تاريخ بيوتات بغداد)، وعُمر الجامع أيضاً في 1329هـ.

وللتوسع في عمارة هذا الجامع انظر: علاء الدين أحمد العاني، المشاهد ذات القباب المخروطية، ص 69 - 72.

(1) هذا النص له أهمية لأنه في سياق زيارته للشيخ عمر السهروردي قال وأول ما بدأنا بزيارة سيدي عبد الرزاق المدفون في إيوان التكية، وهي دلالة واضحة على أن هذا المزار كان تكية (رباطا) في أساسه واستمر كذلك إلى 1139 هـ تاريخ هذه الرحلة. بالرغم من كون كبار السن في محلة الفضل وبغداد ينقلون عن آبائهم بوجود تكية صوفية بالقرب من جامع الشيخ عمر إلا أننا كنا نتردد في اعتمادها لعدم وجود الدليل القطعي، وفي هذا النص ما يشير إلى التكية وموقعها (الجهة الشرقية) وهو موقع المقبرة الحالية، إلا أن أثرها زال، آخذين بنظر الاعتبار أن العائلة السهروردية الصديقية كانت عائلة صوفية، والعائلة السهروردية العباسية التي تولت هذا الجامع لفترة طويلة نهاية العهد العثماني عائلة علمية صوفية أيضاً، فلا يستبعد بالإضافة إلى هذه القرائن أن تكون هنالك تكية، بالإضافة إلى المدرسة المعروفة في الجامع.

أما السيد عبد الرزاق ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني، فهو الفقيه المحدث الصوفي، أخذ عن والده ومن كبار مشايخ بغداد، ولد في سنة 528هـ وتوفي ليلة السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة، وصلى عليه يوم السبت ظاهر باب الحلبة، وقيل صلى عليه في أكثر من مكان، وحُمل إلى مقبرة باب حرب فدفن فيها.

نقل عنه أخبار والده الإمام الكيلاني، وقيل كان متقشفا في حياته، كثير العزلة، أعقب أولادا منهم قاضي القضاة نصر، ترجم له الشطنوفي في بهجة الأسرار ص 198، والتادفي في قلائد الجواهر ص 43، له ولعقبه، وله ذرية لليوم في العراق وسوريا والمغرب العربي، ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، جـ 2. ص 40، ابن الدبيثي في ذيل تاريخ مدينة السلام جـ 4. ص 184 - 185 أما علي الكيلاني في بهجة الشيخ فإنه فصل الحديث عن يوم وفاته قائلاً:

ونودي بالصلاة عليه من الغد بمحال بغداد، واجتمع له خلق كثير وأخرجت جنازته إلى

فأول ما بدأنا بزيارة سيدي عبد الرزاق ولد سيدي عبد القادر (قدس الله سره)، المدفون في إيوان التكية، في الجهة الشرقية، ولم أكن زرته قبل هذه المرة، لأني لم أخبر به إلا في هذه المرة.

الشيخ محمد رفيع[1]

=

المصلى ظاهر البلد فصلي عليه هناك، وحمل على رؤوس الناس إلى جامع الرصافة فصلي عليه فيه، ثم صلي عليه بباب الخلفاء ثم شاطئ دجلة عند الخضريين، ثم عبر به إلى الجانب الغربي فصلي عليه بباب الحرم، ثم أدخل الحربية فصلي عليه بها، ثم حمل إلى مقبرة الإمام أحمد فصلي عليه هناك ودفن رحمه الله تعالى وكان يوماً مشهوداً، بهجة الشيخ ورقة 175 مخطوطة.

علماً أن الإمام أحمد عندما غمره الماء نقل مكانه، ولعل السيد عبد الرزاق نقل أيضاً والله أعلم.

(1) وتسمى تكية الشيخ رفيع، وهو الشيخ محمد رفيع الدين الهندي، ومما جاء في وقفية هذه التكية التي تعود إلى عام 1203 هـ / 1788 م. في اليوم الخامس عشر من صفر الخير، أنه في عهد قاضي بغداد السيد محمد هاشم، حضر مجلس قضائه ببغداد محمد رفيع الدين الهندي، ووقف بمواجهة متولي التسجيل السيد عبد الوهاب ابن السيد محمد أمين الأدهمي الدار الواقعة في محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني وجعلها تكية قادرية، تقام بها الصلوات الخمس وتتلى فيها الأذكار القادرية وقراءة القرآن.

ووقف على مصالح التكية ولوازمها:

أ - الأرض البيضاء الواقعة خارج الباب الشرقي.

ب - الدار الواقعة في محلة الشيخ عبد القادر.

وشرط صرف غلة الأرض البيضاء المشهورة بأرض الهندية والدار على مصالح التكية وإطعام الطعام، وجعل التولية من بعده لمن يكون نقيباً ومتولياً على الأوقاف القادرية، انظر قضاة بغداد. جـ 2، ص 201.

وذكر في خطط بغداد ص 302 تكية الشيخ رفيع في محلة باب الشيخ بالجانب الشرقي من بغداد، وذكرها عباس البغدادي في نيل المراد على أنها (مسجد الشيخ رفيع) ص 20 قال وفي محلة باب الشيخ (مسجد الشيخ رفيع رحمه الله تعالى) وعلق د. عماد عبد السلام أسفل الصفحة قائلاً: عرف أحياناً بتكية الشيخ رفيع وكانت أوقافه جمة، وهي تكية كبيرة بناها الشيخ رفيع الهندي المجاور للحضرة الكيلانية، ووقف عليها الوقوف .

ومثل ذلك ذكر محمد سعيد الراوي في خير الزاد ص 176 قال: هي تكية كبيرة.. بناء

=

ثم زرنا محمد رفيع، بلغه الله المقام الرفيع.

السيد عبد الوهاب ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني

وارتقينا إلى البرج المعمور[1] على القصور بدون قصور، ورأينا فيه مدفعاً كتب عليه اسم الفاتح سلطان مراد، وآخر كتب عليه اسم الشاه كلب علي مرتضى قولي، وقد وجها لحفظ تلك المهاد، ثم توجهنا للطلسم[2] لزيارة[3] سيدي عبد الوهاب نجل السيد عبد القادر[4] قطب الأقطاب قدس الله سرهما ورضي عنا بهما...

=

محكم، أما المحقق فذكر أنها هدمت وأنشئت مكانها مدرسة ابتدائية.

نقول: بحسب الوقفية التي لدينا فإن إنشاءها وتأسيسها كانا تكية إلا أنها تحولت إلى مسجد فيما بعد، مثل كثير من تكايا بغداد، ومما ورد في نص الوقفية جعل الواقف التولية من بعده إلى نقيب الأشراف ومتولي الأوقاف القادرية، كونه قادري الطريقة.

وأنه كان حيا لدى زيارة صاحب الرحلة عام 1139 هـ، وسجل وقفيته عام 1203 هـ أي بعد (64) عاما، فتكون وفاته بعد هذا التاريخ مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأن الأراضي التي أوقفها على التكية تقع بعد منطقة الباب الشرقي كما مثبت في الوقفية وهي منطقة الهنديةالمعروفة اليوم في الكرادة وتعتبر من أهم محال بغداد.

(1) البرج المعمور، وهو واحد من أبراج بغداد يقع عند الزاوية الشرقية الجنوبية لسور بغداد، ويسمى (برج الأجمة) وأحياناً (برج العجمي) لأنه يقع ضمن قطيعة العجم من محلات بغداد، ويقع خلف الحضرة القادرية، وكان يتخذه الإمام عبد القادر الكيلاني مكانا للعزلة والخلوة، سنين طويلة.

(2) الطلسم: هو باب الطلسم (باب الحلبة) من أبواب بغداد المعروفة، وكانت عليه رسوم وطلاسم، وجرى تفجيرها وهدمها عام 1917 م لدى دخول قوات الاحتلال البريطاني بغداد، فجرها العثمانيون لأنها كانت مخزنا للعتاد والبارود لدى انسحابهم من بغداد.

(3) في هذا النص ما يفك الاشتباك واللبس الحاصل، بين الحضرة القادرية، والبرج، والرباط، فبعض الكتاب يخلطون بين الحضرة ورباط الشيخ والبرج، فهي منشآت منفصلة، الأولى هي المدرسة القادرية وصار اسمها الحضرة القادرية.

أما البرج فهو عند زاوية سور بغداد، والرباط عند باب الطلسم.

(4) السيد عبد الوهاب ابن سيدنا عبد القادر الكيلاني ولد سنة (522 هـ) ودرس على يد والده وعلى كبار شيوخ بغداد، حتى قيل إنه كان أفقه أولاد الإمام الكيلاني، وخلفه على المدرسة، له لسان في الوعظ وخاطر حاد، توفي ليلة الأربعاء خامس عشر شوال سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة 593هـ، قال ابن الدُّبيثي في تاريخه جـ 4، ص 169 ، حضرنا الصلاة عليه يوم

=

ودخلنا حضرته ذات الروح والريحان، وبعد زيارته صلينا ركعتين تحية المكان، ثم بعد الخروج ارتقى بنا السيد أحمد أعلى البرج، فتراءت لنا بغداد، ومن حلها من شموس وبدور وشموع وسرج، فقرأنا الفاتحة للجميع.

الشيخ حسن

وكان ورد علينا الجميل الحسن الصالح الفالح، الشيح حسن، وطلب أن يقرأ الحكم العطائية، ثم جاء بعد عصر يوم الأربعاء المبارك، وشرع في قراءتها، وقبله قرأ فاتحة للمؤلف رحمه الله في حسن المحاضرة.

ثم سرنا بعد العصر إلى دار صديقنا الملا محمود السابق في الوداد، وبتنا عنده ليلة الخميس.

الإمام موسى الكاظم ومحمد الجواد[1]

وزرنا سيدي موسى الكاظم وسيدي محمد الجواد، وسيدي موسى هو ابن جعفر الصادق.

أبو يوسف الأنصاري[2]

= الأربعاء بمدرسة أبيه والخلقُ كثير، ودُفن بمقبرة الحلبة قريباً من السور. نقول: وقبل تفجير باب الطلسم نقلت رفاته إلى الحضرة القادرية، وكان أخوه يحيى بقربه أيضاً، علماً أنه في عام 612 هـ وفي العهد العباسي تم إعمار سور بغداد عند هذه الجهة ولعله دخل ضمن السور في هذا التعمير.

(1) الإمام الجواد، محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم (رضي الله عنهم) يلقب بالجواد التقي، أعجب به المأمون لفصاحته وعلمه وزوجه ابنته أم الفضل، ولد 195 هـ وتوفي ببغداد سنة 220 هـ ودفن عند جده موسى الكاظم في مقابر قريش، وهي الكاظمية اليوم، مروج الذهب، المسعودي جـ 2، ص 77، عيسى البندنيجي: جامع الأنوار ص 153 وقباب هذا الجامع مطلية بالذهب ورؤوس مآذنه كذلك، وهو جامع فسيح يزوره الناس من أنحاء العراق وخارجه.

(2) وبشكل متصل بالحضرة الكاظمية وملاصق لسور الجدار، يتصل بباب داخلي من جامع أبي يوسف الأنصاري إلى داخل الحضرة، وداخل هذا الجامع ضريح الإمام أبي يوسف =

وسيدنا أبي يوسف الأنصاري أحد رواة الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه ولما دخلت مرقده، ووصلت مشهده، شاهدت بهاءً وجمالاً.

الدرويش علي النجار

وكان قد دعا الرفيق في الطريق، الدرويش علي النجار، لنبيت عنده ليلة الجمعة، فاعتذرنا فلم يقبل الاعتذار.

قبر زبيدة، وتكية للفقراء

وبقينا عند السيد أحمد في الدار، وبعد العصر... أتينا معه إلى قبر زبيدة[1]، وكان عَمّره المرحوم حسن باشا وزير بغداد[2]، وبنى عنده تكية للفقراء[3] والطلبة الأمجاد، وكان قد دفن زوجته والدة ولده أحمد باشا، بتلك المهاد.

فجاءنا بعد الزيارة بعض الطلبة من القطان فيها، وضيفنا بحسب الإمكان.

=

الأنصاري (ﷺ)، وهو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، عالم فقيه من أصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان (ﷺ) سكن بغداد وصار قاضيها توفي 182 هـ. والقبر معروف من العهد العباسي.

(1) كان الاعتقاد أن هذا الموضع هو قبر زبيدة زوجة هارون الرشيد، ثم كشف فيما بعد أنه قبر زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة 599 هـ / 1202م، انظر علاء الدين العاني. المشاهد ذات القباب ص 54، وأحمد سوسة، فيضانات بغداد، ص 222.

(2) عمره والي بغداد حسن باشا لدى وفاة زوجته عائشة سنة 1131 هـ / 1718 م ودفنت في هذا الموضع.

(3) وجود التكية في ذلك المكان لم يرد في المصادر لحد اطلاعنا في هذا التاريخ إلا أن المصادر التاريخية القديمة ذكرت من أن زمرد خاتون، أقامت رباطا بإزاء تربتها ومدرسة وربما مسجدا، كما ورد في كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي، ص 107 - 108، ولعل المنشآت القديمة هذه تم تجديدها باختصاصاتها القديمة فكانت تكية، ووجد رحالتنا كما جاء في النص طلابا قاطنين، انظر: علاء الدين العاني المصدر السابق، ص 54 خطط بغداد، ص 214.

التكية البكتاشية[1]

وعدنا في الصباح لدار السيد أحمد المذكور، فأمسكنا يوم الجمعة عنده، كيما نزور سيدي معروف في غدوة يوم السبت.

وسار بنا للتكية البكتاشية، واجتمعنا بشيخها الدرويش خضر، خضر الله عيشته الرضية.

فسألناه عن بعض أمور في طريقتهم السنية، وقلنا إن لكل ما اصطلح عليه أهل كل طريق إشارة، كالبوق والحجر والزي والعلم والإشارة، وأن من جملة فوائد حمل البوق طرد الوحوش.

فقال الشيخ خضر: وهذا أمر واقع مسطور منقوش.

قلت: سمعت بعض أهل هذه الطريقة، يقول مفصحاً عن إشارته الوثيقة أن المراد، بتنفيره الوحوش، هي وحوش الغفلة عن الفؤاد المدهوش.

الشيخ عبد الله السويدي

وبعد صلاة العشاء الأخيرة، ورد علينا فلّان انتشينا بهم، أولو وجوه منيرة، وهو وجه العشيرة... يتقدمهم الشيخ عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدوري[2] الشهير بالسويدي، وقارنه ويقاربه الشيخ محمد المشهور بابن الرفاء فك الله قيدهما وقيدي..

ثم إن الشيخ عبد الله أخبر أنه ذهب إلى منزل النسيب الحسيب الملا السيد علي فأوقفه على مسألة (المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب)[3].

قال: واستجزمه لمطالعتها، وإخراجها وقرأ منها يسيرا، فتآنسنا بهما وقتاً كبيراً، ثم إنهم بعد أن ودعانا جمعنا ذهبا وقد ملأنا جيوب أسماعنا من نوادرهما ذهباً.

---

(1) تكية البكتاشية تقع في محلة خضر إلياس كرخ بغداد (الجعيفر) يعتقد أنها قديمة من العهد العباسي، وجرفت مع النهر بحدود عام 1920 م، عبادة: العقد اللامع ص 481 مع هامش المحقق د. عماد عبد السلام.

(2) الدوري، نسبة إلى موطن آبائه في مدينة الدور. التي مر ذكرها.

(3) عنوان كتاب لصاحب الرحلة.

الحارث بن أسد المحاسبي[1]

وعندما دخلنا المدينة، متدرعين دروع السكينة، قصدنا زيارة سيدي الحارث بن أسد المحاسبي.

الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي[2]

---

(1) سنترجم له بعد قليل.

(2) هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحُسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن سعد بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته، أبو النجيب، ويلقب بضياء الدين ونجيب الدين أيضاً، وذكر ابن الدُبيثي في ذيل تاريخ مدينة السلام جـ 4، ص 297، (نقلت نسبه هذا من خطه)، (وإن عبد الله بن سعد جد أبيه يكنى أبا جعفر ويعرف بَعمّويه)، ولد في سهرورد سنة 490 هـ، وسهرورد من مدن عراق العجم، وقدم بغداد سنة 507 هـ واستوطنها، وتفقه على كبار العلماء، وصحب الشيخ حماد بن مسلم الدباس من كبار مشايخ الصوفية ببغداد، وآثر طريق التصوف والرياضة والتفرد، وأخذ عن أحمد بن محمد الغزالي شقيق الإمام محمد الغزالي، ودرّس بالمدرسة النظامية، وعرف بوعظه، وسافر إلى الموصل والشام وبيت المقدس ووعظ بها، وأملى الحديث وكتبه وأسنده، وذكر صاحب جامع كرامات الأولياء، جانب من كراماته، حتى وصف بشيخ العراق، ومن أعظم مشايخ الصوفية، وأخذ على يده تربية المريدين، وتخرج ابن أخيه الشيخ عمر السهروردي عليه وغيره كثيرون، وتوفي ثامن عشر جمادى الآخرة سنة 563 هـ ودفن في رباطه، وكان في حياته قد أنشأ رباطاً في الجانب الشرقي من بغداد، ومر هذا الرباط بمراحل ومتغيرات، فالثابت أن هذا الرباط وصف أحياناً بالمدرسة وأحياناً بالمشهد كما جاء في نص رحالتنا، وذكر يوسف النبهاني في جامع كرامات الأولياء ص 212 قائلاً: وقد زرته والحمد لله سنة 1296 هجرية وحصلت لي بركته رضي الله عنه، وذكر عيسى البندنيجي (المتوفى بحدود 1283 هـ / 1866 م) في جامع الأنوار ص 412 (رباطه في الجانب الشرقي من بغداد جنب المدرسة السليمانية بقرب حرم دار الإمارة).

أما عبد الحميد عبادة في العقد اللامع ص 158 فذكر: النجيبية، واقعة خلف المدرسة السليمانية (جامع السليمانية)، درّس فيها عبد الحميد الآلوسي توفي 1324 هـ، وبعده درس فيها أحمد شمس الدين الآلوسي توفي 1338 هـ / 1919 م، وبعده مصطفى الآلوسي الذي صار وزيراً للعدلية إلى ما بعد 1921م.

ومن هذا الوصف الذي كان عبد الحميد عبادة معاصراً له، بما يشير إلى أن رباط أبي

ثم سرنا وقد سرّنا إمداده... إلى زيارة سيدي عبد القاهر، أبي النجيب السهروردي قدس الله سره، ما فاح نشر تهامي أو عير نجدي، قال الشعراني قدس سره في طبقاته: سكن بغداد إلى أن مات بها سنة 593 هـ ودفن بمدرسته على شاطئ دجلة... ودعانا بواب الشيخ لخلوته، فجلسنا عنده جلسة الخطيب تطييباً لجهته.

=

النجيب السهروردي صار مدرسة تسمى النجيبية نهاية العهد العثماني وبداية العهد الملكي في العراق، أما السليمانية فهي مدرسة ومجاورة لها اليوم يطلق عليها جامع السليمانية وفيه قبور مفاتي بغداد من آل الزهاوي، وكان بقرب السليمانية جامع صغير يسمى النعمانية ودمج الجامعان في جامع واحد وتم افتتاحه قبل سنة من يومنا هذا، والحائط الخلفي للجامع هذا قريب جداً من قبر الشيخ أبي نجيب السهروردي.

نعود ونقول في العهد الملكي أنشئت الثانوية المركزية التابعة لوزارة التربية، فأخذت على ما يبدو ما تبقى من الرباط أو المدرسة النجيبية، فصار قبر أبي النجيب داخل غرفة من غرف هذه الثانوية، ويفصل بين قبره داخل الثانوية ونهر دجلة بناية، وهذه البناية تقلبت بها الأزمنة والشاغلون لها، فمن المدرسة العلية في العهد العثماني إلى معمل للصنايع في العهد ذاته، من 1176 هـ / 1762 م، وفي العهد الملكي صارت قصر لملوك العراق ثم محكمة، ثم قصراً للفنون 1996، ثم بيت الحكمة، وصارت الغرفة التي تضم قبر الشيخ أبي النجيب السهروردي ضمن بيت الحكمة، وهذا مآله اليوم وينتظر من يلتفت إليه.

وذكر الدكتور بشار عواد معروف الأستاذ المحقق والمؤرخ، أثناء تحقيقه للكتاب الرائع ابن الدُّبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام جـ 4، ص 297، قائلاً (وأحفاده - يقصد أبا النجيب - من عوائل بغداد الكريمة إلى يوم الناس هذا).

ابن الأثير: الكامل جـ 11 / 333 ابن الجوزي: المنتظم جـ 10 / 225. ابن العماد: شذرات الذهب جـ 4 / 208، - ابن الدبيثي: جـ 4 ص 296 - 299. يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء: ص 221. عيسى البندنيجي: جامع الأنوار ص 410. عباس البغدادي: نيل المراد ص 47. عبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص 158.

نقول: السهروردية في العراق، نسب وطريقة صوفية، أما من حيث اللقب فالسهروردية الأوائل نسبهم صديقي، ولكونهم المؤسسين لطريقة صوفية صار أتباعهم يطلق عليهم السهروردية، وتعدى انتشارهم بغداد والعراق إلى الشام وتركيا واليمن ومصر إلى الهند وغيرها، ومن السهروردية اليوم، بيوتات عربية عريقة بغدادية ودورية، يرجع نسبهم إلى الخلفاء العباسيين، يقطنون بغداد والدور، فهم عباسيو الأصل وأضيف إليهم السلوك الصوفي السهروردي، فصار لقبهم العباسي السهروردي، والمعروف عن هذه العوائل صلاحها وتقواها وسلوكها الصوفي القديم المتوارث.

الشيخ عبد الله[1]

وكنا زرنا قريباً من منزل الحاكم ولياً يقال له الشيخ عبد الله، من أولاد الصديق الأكبر قدس الله سره الأنور، فسألنا عنه بعض أشخاص، لهم للتردد على الزيارات إشخاص، فلم نجد من يفصح عنه جواباً.

---

(1) لا بد لنا من الإشارة إلى وجود تشابه في هذه التسمية بين عدد من محلات بغداد ومنها: عقد عبد الله باشا في محلة البلانجية، وعقد قليج عبد الله في محلة كوك نظر، وعقد السيد عبد الله في محلة قنبر علي، وهذه الأسماء جميعها وردت في قائمة فيلكس جونز 1846 م، وتكاد أن تكون متقاربة في الموقع، ولأجل تفصيل الموقع الذي فيه هذا القبر، قبر (الشيخ عبد الله) فمن سياق النص: أنه زار أبا النجيب السهروردي وقريباً منه هذا المرقد، وكذلك قريب من (منزل الحاكم) أي والي بغداد في العهد العثماني، وقصده السراي أو القلعة الذي كان يتخذها الولاة مقراً لهم، وفعلاً هناك مرقد لا يعرف دفينه، يقع في جامع الملك، وليس للملك منه سوى بابه وجداره الخارجي، وداخل هذا الجامع مرقد داخل أسطوانة الجامع لا يعرف أحد دفينه، ومن هنا نعود إلى موضوع جامع جديد حسن باشا الذي يعتقد أنه جامع قديم يعود إلى العهد العباسي وفي عهد سليمان القانوني أمر عامله أمير بغداد (عبد الله آغا وانه) بتجديده 963 هـ / 1556 م، وسمي السليماني، ثم صار اسمه جامع السراي لقربه منها، ثم صار اسمه جديد حسن باشا، ثم صار يسمى جامع الملك، انظر:

عبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص 260 وهوامش المحقق، فالدائرة تدور هنا حول دفين الجامع (الشيخ عبد الله) الذي زاره الرحالة ولعله عبد الله أمير بغداد الذي قام بتجديد الجامع، وبتقادم الزمان لم يعد أحد يعرفه، ووقت زيارة الصديقي صاحب هذه الرحلة لا يعرفون منه غير اسمه عبد الله وقوله (للتردد على الزيارات) من أنه كان يخص بزيارة الناس له. ووجوده داخل الأسطوانة يعني أنه كان بقرب الجامع ومع توسعته صار في إحدى أسطواناته الجديدة. بينما رجح عباس العزاوي في تاريخه ج4 ص 40 أن الدفين هو الخليفة الناصر معتمدا على جامع الأنوار للبندنيجي ص 591 بأن الدفين هو الشيخ ناصر الدين. والله أعلم.

الشيخ عبد الله[1]

وكنا زرنا قريباً من منزل الحاكم ولياً يقال له الشيخ عبد الله، ويزعم الناس أنه من أولاد الصديق الأكبر قدس الله سره الأنور، فسألنا عنه بعض أشخاص، لهم للتردد على الزيارات إشخاص، فلم نجد من يفصح عنه جواباً.

---

(1) لا بد لنا من الإشارة إلى وجود تشابه في هذه التسمية بين عدد من محلات بغداد ومنها: عقد عبد الله باشا في محلة البلانجية، وعقد قليج عبد الله في محلة كوك نظر، وعقد السيد عبد الله في محلة قنبر علي، وهذه الأسماء جميعها وردت في قائمة فيلكس جونز 1846 م، وتكاد أن تكون متقاربة في الموقع، ولأجل تفصيل الموقع الذي فيه هذا القبر، قبر (الشيخ عبد الله) فمن سياق النص: أنه زار أبا النجيب السهروردي وقريباً منه هذا المرقد، وكذلك قريب من (منزل الحاكم) أي والي بغداد في العهد العثماني، وقصده السراي أو القلعة الذي كان يتخذها الولاة مقراً لهم، وفعلاً هناك مرقد لا يعرف دفينه، يقع في جامع الملك، وليس للملك منه سوى بابه وجداره الخارجي، وداخل هذا الجامع مرقد داخل أسطوانة الجامع لا يعرف أحد دفينه، ومن هنا نعود إلى موضوع جامع جديد حسن باشا الذي يعتقد أنه جامع قديم يعود إلى العهد العباسي وفي عهد سليمان القانوني أمر عامله أمير بغداد (عبد الله آغا وانه) بتجديده 963 هـ / 1556 م، وسمي السليماني، ثم صار اسمه جامع السراي لقربه منها، ثم صار اسمه جديد حسن باشا، ثم صار يسمى جامع الملك، انظر:

عبد الحميد عبادة: العقد اللامع ص 260 وهوامش المحقق، فالدائرة تدور هنا حول دفين الجامع (الشيخ عبد الله) الذي زاره الرحالة ولعله عبد الله أمير بغداد الذي قام بتجديد الجامع، وبتقادم الزمان لم يعد أحد يعرفه، ووقت زيارة الصديقي صاحب هذه الرحلة لا يعرفون منه غير اسمه عبد الله وقوله (للتردد على الزيارات) من أنه كان يخص بزيارة الناس له. ووجوده داخل الأسطوانة يعني أنه كان بقرب الجامع ومع توسعته صار في إحدى أسطواناته الجديدة. بينما رجح عباس العزاوي في تاريخه ج4 ص 40 أن الدفين هو الخليفة الناصر معتمدا على جامع الأنوار للبندنيجي ص 591 بأن الدفين هو الشيخ ناصر الدين. والله أعلم.

الشيخ حماد الدباس[1]

وعدنا إلى الخلوة وبتنا في سرور وجلوة، وفي صباح ثاني يوم من هذه الكرّة، وهو يوم الاثنين أتانا صديق... الملا محمود وتوجهنا بصحبته إلى جهة الإمام الأعظم لنزوره، ومن بقربه من أهل المقر الأفخَم، فسرنا مع ولديه عبد الرحيم ومحمد سعيد حباهما الله التوفيق... ولما وصلنا إلى ناحية سيدي حماد الدباس، نزلنا عن الدواب وعطفنا على زيارته راجين من مشكاته الاقتباس.....

العيص

ثم سرنا إلى زيارة الإمام الأعظم وهمامنا الأفخم الأكرم، من تقدمت زيارتنا له، في أول وهلة، لكن لم يستوف أزر العيص... لعدم وجود من يخبرني بجنابه أو يدلني على أبوابه، فزرته عليه السلام في هذه الكرة.

وهذا السيد إن كان العيص، ولد سيدي إسحاق شقيق سيدي يعقوب عليه السلام، فهو في قرية قريبة من أراضي الخليل، لكن ربما يكون غيره، والاسم وافق الاسم الجميل، أو أنه مقام آخر له، وأظنه غيره، فإن العيص ولد سيدي إسحاق عليه السلام لم نر من نص على نبوته، وهذا السيد شائع أمر نبوته في بغداد وذائع، وكان هذا الكريم ابن الكريم قد خلع خلعة الظهور على النعمان ذي القدر العظيم كما حكى الشعراني[2] رضي الله عنه في آخر ترجمة سيدي إبراهيم المتبولي قدس الله سره.

---

(1) ذكرنا ترجمته فيما مر معنا في ترجمة الإمام عبد القادر الكيلاني وأبي النجيب السهروردي، قال الشيخ عيسى البندنيجي في جامع الأنوار، سكن بغداد بالمظفرية إلى أن مات بها سنة 525 هـ، وقد علت سنه ودفن بالمقبرة الشونيزية، بينما ذكر مرتضى نظمي في الكتاب نفسه: وأن ذكر في البهجة أن مدفنه في الشونيزية إلا أنه اتفقت كلمة أهل العراق الآن أن مدفنه في القصبة الأعظمية المعروفة بمقبرة الخيزران، والرحالة مصطفى الصديقي زاره في الأعظمية.

(2) عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى:ص 398 ترجمة إبراهيم المتبولي.

زيارة الشبلي ثانية[1]

ثم سرنا للعارف الشبلي دلف من سما لكل علي، الفريد الوحيد قالاً وحالاً... وقال الشعراني رضي الله عنه، في ترجمة أبي بكر دلف بن جحدر الشبلي رضي الله عنه:

ومكتوب على قبره جعفر بن يونس، خرساني في الأصل بغدادي المولد والمنشأ[2]، ناب في مجلس خير النساج كما مرّ وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره من المشايخ، وصار أوحد أهل العصر علماً وحالاً وظرفاً، وتفقه على مذهب الإمام مالك، وكتب الحديث الكثير سبعاً وثمانين سنة ومات سنة 334 هـ، ودفن في بغداد بمقبرة الخيزران، وقبره فيها ظاهر يزار.

ولما دخلت حضرته التي لا يشك فيها أنها روضة من رياض الجنة، ما يجد في باطنه من الروح والريحان، وغيوث غيوب المنة، قرأت قلب القرآن مع ضم ما تيسر.

زيارة مرقد بشر الحافي

ثم سرنا إلى مرقد الإمام الهمام ذي المورد الصافي، سيدي بشر بن الحارث الحافي[3] قال في الرسالة (القشيرية): أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها.

وقال في (مجمع الأحباب، وتذكرة أولي الألباب) تأليف الإمام شمس الدين محمد بن الحسن في ترجمته، حكى أن بشراً رضي الله عنه كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطربون فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) ولد في سامراء واستوطن بغداد.

(3) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافي، لأنه كان فعلاً حافي القدمين لا يلبس النعل، وكان أهل بغداد يتعاملون معه بهيبة قل نظيرها بحسب تعبير ووصف الكتاب، توفي يوم الأربعاء عشرة محرم 227 هـ، واختلف في موضع قبره في هذا المكان من الأعظمية أم في باب حرب، وقبره المعروف هذا حالياً في مسجد صغير وعليه قبة، انظر الشعراني الطبقات الكبرى، ص 105، وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع، ص 52.

فخرجت إليه جارية: فقال: صاحب هذا الدار حر أم عبد؟

فقالت: بل هو حر.

فقال: صدقيني لو كان عبداً لاستعمل العبودية وترك اللهو والطرب.

فسمع بشر رضي الله عنه محاورتهما فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولى الرجل.

فقال للجارية: ويحك من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى فتبعه بشر حتى لحقه وقال له: يا سيدي أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية! قال: نعم قال له: اعد عليَّ الكلام، فأعاده عليه، فبكى بشر ومرغ خديه على الأرض وقال: بل عبد... عبد... عبد، ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء فقيل له: لم لا تلبس نعلاً فقال: لأني ما صالحني مولاي جل جلاله إلا وأنا حافٍ ولا أزول عن هذه الحالة حتى الممات.

قال يحيى بن عبد الحميد: رأيت أبا نصر النجار، وعلي ابن المديني يصيحان في جنازة بشر بن الحارث هذا والله شرف الدنيا قبل الآخرة، وذلك أن بشراً خرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يصل إلى المقبرة إلى الليل، وكان نهاراً صائفاً، ولم يستقر في القبر إلى العتمة.

زيارة أبي الحسين النوري(1)

ثم زرنا أبا الحسين النوري، سيد قد سماه لأعلى القصور، وجهه في الظلام

---

(1) هو محمد بن محمد بن أحمد، يعرف بابن البغوي، أبو الحسين النوري، لقب بالنوري، لأنه إذا تكلم لمعت الأنوار من فيه، وإذا جلس في رباطه ظهرت الأنوار عليه، وصف بـ (أمين القلوب)، وقيل هو والجنيد يُسميان (طاووس العباد) عابد زاهد، له مواقف في الإيثار والشجاعة، من مشايخ الصوفية الكبار، توفي 295 هـ ودفن في الأعظمية، قال في جامع الأنوار (دفن في قصبة سيدنا الإمام الأعظم في موقف معروف يزار ويتبرك به)ص 358، وقال عبد الحميد عبادة في العقد اللامع (توفي ودفن بالخيزرانية 295 هـ وقد بنى على قبره الحاج محمد أفندي اليوقلمة (اليوقلمجي) ابن سلطان الموصلي غرفة عقدت بالحجارة والجص ص 57، وخلط الأمر على مصطفى جواد في خطط بغداد، بينه وبين أحمد بن علي في ص 208، نقول: وقبره ظاهر يزار منذ مئات السنين، وترجمته في مناقب الأبرار لابن خميس الموصلي، ج 1، ص 354 - 361.

يغني عن المصباح، نوراً يمحو الديجور...

قال الإمام القشيري رضي الله عنه: أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصول، صحب السري وابن أبي الحواري، من أقران الجنيد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وكان كبير الشأن، حسن المعاملة واللسان، قال رضي الله تعالى عنه: التصوف ترك كل حظ للنفس....

ثم عدنا إلى المسجد الكازروني[1].

رسالة (الفرق المؤذن بالطرب)[2]

وفي عشية الثلاثاء... جاءنا صديقنا... الشيخ عبد الله [السويدي]... وصحبته رسالة (رسالة الفرق المؤذن بالطرب).

(وجاء فيها) أما بعد: فيقول العبد المفتقر إلى ألطاف المولى الغني، عبد الله بن حسين بن مرعي الدوري الشهير بالسويدي، قد وقفت على هذه الرسالة المسماة بـ (الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب)، فألفتها بحراً يقذف بالدرر، وروضة فتحت من جفون الإمام، فيها عيون الزهر بزغت شمس المعارف من مطالع الفيافي، وامتطت صهوات أفلاك سماء المعاني، كم ضاع من خلال التراكيب ريح التحقيق، وعبق من أثناء الأساليب شذى التدقيق، فما هي إلا فرائد سبكتها القريحة الوقادة، وسبكتها في قوالب الألفاظ يد الفكرة المقادة، احتوت على غرائب أزرت بعقود الجمان، وانطوت على مطالب يعقد عليها بالخناصر في هذا الزمان، فلله دره من مؤلف جمع فأوعى، وحوى ما تضمن زجراً ورعاه، فلم يسع الواقف عليه والناظر سوى أن يقول له كم ترك الأول للآخر[3]،...

---

(1) تأكيد آخر على مسجد الكازروني، وكان إمامه ملا محمود، يؤُم الناس حُسبة لله تعالى.

(2) رسالة صنفها صاحب الرحلة الشيخ مصطفى الصديقي الخلوتي، وأعطى نسخة منها إلى الشيخ عبد الله السويدي لغرض تقريظها وهي عادة جرى عليها مؤلفو ذلك الزمان في تقريظ مؤلفاتهم من قبل كبار المشايخ.

(3) نص تقريظ الشيخ عبد الله السويدي على الكتاب.

(المقامة الرومية)

وأوقفته[1] على (المقامة الرومية) والمقامة الرومية طالعها ليلة وفي الصباح أتى بها، ثم أخذ دواة وأجال فكره مجالاً، وكتب على ظهره ارتجالاً، قضت رومية البكري، أن لا تدانيها مقامات الحريري، فهذه درة الغواص تدعى، وأين الدر من نسج الحرير[2].

ذكر ومذاكرة

ودعانا يوم الخميس... الحاج محمود درويش، لنحضر عنده الذكر ليلة الجمعة، ودعونا له بالتوفيق[3].

وفي يوم الجمعة، دعينا إلى جانب سيدي معروف، وكان الريح الشمالي متحركاً، فانقطع الجسر، وهو شيء مألوف[4].... وصلينا الجمعة في جامع حسن باشا السابق، الحسن البناء فكان الاسم مطابقا.

وبتنا ليلة السبت عند الداعي الحاج بدر بن خسرو التكريتي الأصل... وحضر الفاضلان الأديبان الشيخ محمد والشيخ عبد الله السابقان، وأحضر المسامرات الأكبرية[5] وقرأ مراسلة الخليفة الأول للرابع ذي المراتب السنية.

وفي الصباح سرنا لزيارة مولانا معروف[6] ذي الشأن المرفوع المعروف.

ومنه توجهت لزيارة سيدي منصور بن عمار[7]...، رفيع المنار، وسماه بعض

---

(1) أوقف الشيخ عبد الله السويدي على مؤلف آخر لصاحب الرحلة اسمه (المقامة الرومية).

(2) نص تقريظ السويدي على المقامة الرومية لصاحب الرحلة.

(3) هذه القطعة تظهر الحياة الروحية والصوفية ببغداد، بين الأذكار، ودراسة النصوص الصوفية لكبار المشايخ، والقيام بزيارة الأولياء، وغيرها.

(4) انقطاع جسر بغداد آنذاك، كان شيئاً مألوفا كلما اشتد الريح، أو علا الماء.

(5) لعله يقصد كتاب مسامرات الأخيار للشيخ الأكبر ابن عربي، وهو كتاب بجزءين مطبوع.

(6) الشيخ معروف الكرخي.

(7) ذكره القشيري في رسالته. ص 68 توفي ببغداد 225 هـ، ويكنى بأبي السري، ترجمته في مناقب الأبرار لابن خميس الموصلي ص 598، والشعراني الطبقات الكبرى، ص 120 قال منصور بن عمار الواعظ، وذكر قبره السيد محمد سعيد الراوي في خير الزاد ص 501 قال:

الأصحاب عمار بن منصور... قال القشيري رحمه الله تعالى في الرسالة (القشيرية): منصور بن عمار من أهل مرو من قرية دندا... ويقال أنهم من بوشنج، أقام بالبصرة وكان من الواعظين الكبار...

وقيل كان سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوبة، عليها بسم الله الرحمن الرحيم، فرفعها فلم يجد لها موضعاً فأكلها فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة.

ذو النون المصري[1]

وعطفنا على زيارة سيدي أبي الفيض ذي النون المصري.

واسمه ثوبان بن إبراهيم توفي في سنة مائتين وخمس وأربعين، قال الشعراني رضي الله عنه في طبقاته، وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحمة، ولما توفي بالحيرة حمل في قارب مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته، ورأى الناس طيوراً خضراً ترفرف على جنازته ووصلت إلى قبره،... ولما دخلت قبته، واستشعرت محبته شرعت في قلب القرآن، وبعدها في الذكر الموجب، قلب

=

إذا توجه الإنسان إلى جامع معروف الكرخي وتربته، فوصل إلى الطريق النازل من مقبرة الجنيد إلى الشرق فسار فيه مغرباً... رأى على يساره.... قبر منصور بن عمار الواعظ المشهور، لذا تعتبر إشارة صاحب الرحلة أول إشارة إلى هذا القبر.

(1) ذكره السلمي في طبقات الصوفية ص 15، وجعله الشيخ الثاني على رأس الطبقة الأولى، قال:ومنهم ذو النون بن إبراهيم المصري، أبو الفيض، ويقال ثوبان بن إبراهيم، وذو النون لقب، وذكر وفاته في 248 هـ، وغيره قال توفي 245 هـ كما في مناقب الأبرار لابن خميس الموصلي ص 81، وصف بأنه أوحد وقته علماً وورعا وحالاً، وذكر قبر ذي النون، عبد الحميد عبادة في العقد اللامع ص 108 قال، من المشايخ الكرام.. انهدمت غرفة قبره فغرق سنة 1333 هـ / 1914 م، وبقيت مهدمة، قالوا إذا مرضت الخيل تدور حول مرقده ثلاث مرات تبرأ، وذكر د. عماد عبد السلام محقق الكتاب في هامش أسفل الصفحة: ثمة قبران في بغداد ينسبان إلى من يدعى ذي النون أولهما في الجانب الشرقي يقع في فضاء قرب سور بغداد وثانيهما في الجانب الغربي [الكرخ]، والظاهر أن المؤلف (عبد الحميد عبادة) يقصد هنا أولهما.

العيان بالعيان.

(تخميس أبيات للشيخ عبد القادر الكيلاني)[1]

وتخميس ببيتين ينسبان لسيدي عبد القادر قدس الله سره خمستهما في البيت المقدس وهو:

يـا سـاقياً درهـا فقـد أوعدتنـي أن تـسقيني وحـدي إذا أوردتنـي

وإذا بهـا أسـعفت وأسـعدتني لا تـسقني وحـدي فمـا عودتنـي

أني أشح بها على جُلاسي

مـولاي إنـي نحـو وجـودك فـي ظمـا وكـذا رفاقـي والـذي نحـو أنـتما

فـامض علينـا راحـم الـرحمن أمـا أنـت الكـريم وهـو يلـيق تكـرما

أن تقدم الندما دور الكاس

زيارة مراقد

وزرنا السري والجنيد، ويوشع مطلق القيد، والبهلول ما منه قرب منه في تلك الرحاب، ثم عدنا لدار صديقنا الأحمد السيد، لتناد علينا، لدار الحاج محمد جار الصديق... وكان قد حضر عندنا في الليل الأخ الدرويش إسماعيل وإبراهيم.. فباتا عندنا في دار الداعي، وقرأنا معهما ورد السحر[2].

الحضرة اليوشعية[3]

ودعنا أولئك الخلان، وفي الصباح عدنا إلى الخلوة بالحضرة اليوشعية ذات الخلوة الألمعية... فتوجهنا إليه كلنا، وكلنا وجلنا، بعد الفاتحة والاستئذان.

---

(1) بيتان قالهما الإمام الكيلاني يوماً وهو يتكلم على الناس فنظر إلى السماء وقال:

لا تـسقني وحـدي فمـا عودتنـي أنـي أشـح بهـا علـى جُلاسـي

أنـت الكـريم وهـل يلـيق تكـرماً أن يُعبـر الـندماء دور الكـاس

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً (بهجة الأسرار، للشطنوفي، ص 104)

(2) أهم الأوراد عند السادة الصوفية ورد السحر.

(3) المقصود بها عند ضريح نبي الله يوشع (عليه السلام).

تخميس بيتي ابن الرفاعة[1]

تخميس بيتي ابن رفاعة اللذين خمستهما في عابر الزمان وهو:

عروسة حسن كل أوقاتها صفا ... وبارعة الإحسان كاملة الوفا
ولما سمعنا أن في حبها الشفا ... دخلنا عليها نستجير من الجفا
على غفلة الواشي من الحب والأنس

أيا ربة الخدر ارفقي في الذي قضى ... عليهم بعشق حشوة نار ذي الغضا
فقالت مقالاً في القلوب له امتضا ... سمعنا فما تبغون! قلنا لها الرضا
فقالت رضاي في الخروج عن النفس

زيارة الإمام الغزالي[2]

(1) لعل المقصود هنا سيدي أحمد الرفاعي (قدس سره).

(2) هو الإمام الحجة، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة 450 هـ، ودرس العلوم هناك حتى برع فيها، وقدم بغداد ليكون مدرساً في المدرسة النظامية من سنة 484 هـ إلى عام 488 هـ، فاشتهر صيته وذاع خبره في الآفاق، وحدث له تحول فكري قلب كيانه، فخرج من بغداد إلى بيت الله الحرام وبيت المقدس والشام، ثم عاد إلى دمشق ليسكن في زاوية، ويكتب كتابه الشهير إحياء علوم الدين، وفي عام 490 هجري عاد إلى بغداد ونزل في رباط أبي سعيد النيسابوري مقابل النظامية، وأكثر الأخبار لدينا، أنه بدأ بالوعظ والتحدث بعلوم الصوفية والحقائق، ثم عاد إلى طوس وأنشأ مدرسة وخانقاه (تكية)، ثم عاد للتدريس عام 498 هـ في النظامية، وقيل نظامية نيسابور، وفي عام 505 هـ توفي في طوس بحسب المصادر المتوفرة ونقل عن أخيه أحمد الغزالي الذي تركه عام 488 هـ ببغداد بعده ليدرس في النظامية، وصف لحظات حياته الأخيرة قائلاً: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى وقال: عليّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينه وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار قدس الله روحه، ونقل عن عبد الغافر الفارسي في طبقات الشافعية قال: دفن بظاهر قصبة طابران، ونقل عن آخرين أنه توفي 14 جمادى الآخرة 505 هـ 18 ديسمبر 1111 م ودفن بظاهر قصبة الطابران، وقيل مقبرة الطابران، وفي مقدمة كتاب إحياء علوم الدين بقلم الشيخ عبدالعزيز السيروان وكذلك عبد الرحمن بدوي في كتابه مؤلفات الغزالي، ص 21 عن قبر الإمام الغزالي يقول: مدينة طوس كانت ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور وكانت تتألف من مدينتين توأمتين هما، الطابران، ونوقان، وكانت نوقان أكبر في القرن =

الثالث، أما في الرابع وما بعده فكانت الطابران أكبر من نوقان، وكان بطوس قبر الإمام الرضا (علي الرضا) وقبر هارون الرشيد (الخليفة العباسي) إلى جواره، وفي سنة 617 هـ / 1220 م دمرت جحافل المغول مدينة الطوس تدميراً لم تنهض منه بعد ذلك أبداً، وإنما نشأ بعد ذلك عمارة إلى جوار مشهد الرضا وقبر هارون الرشيد، ومن ثم ظهرت مدينة (مشهد) مدينة كبيرة منذ القرن الثامن، تحيط بها قبور عظيمة، من بينها قبر الغزالي إلى شرقي ضريح الإمام الرضا، وقبر الفردوس (الفردوسي)، واليوم هناك مرقد ظاهر في مشهد كتب عليه بالحجر الأزرق المزجج قبر الإمام الغزالي، وبهذه البينات فإن ما كتب على الورق أن قبر الإمام الغزالي في طوس يبدو ثابتاً، باستثناء أن الشيخ أحمد شقيق الإمام الغزالي الذي بقي بعده في بغداد في المدرسة النظامية هو الذي كان معه آخر لحظات حياته لم يقل أنه توفي في طوس أولاً، وثانياً أن القائلين بأن الإمام الغزالي غادر بغداد 488 هـ ولم يعود إليها فإن هذا القول مردود لأسباب منها أنه ذهب إلى دمشق، ودمشق إلى غرب العراق وطوس شرق العراق ولا بد له من المرور بالعراق في كل الأحوال، وأخرى أنه دخل بغداد ووعظ في زاوية النيسابوري مقابل النظامية 490 هـ وهذا الأمر ثابت أيضاً، وثالثاً: القول أن نهاية حياته درس في النظامية 498 هـ نظامية نيسابور، فيه قول، ومنه أنه درس في زاوية النيسابوري مقابل النظامية ببغداد، فوقع إشكال لفظي، بين نظامية نيسابور، وزاوية النيسابوري قرب النظامية ببغداد، وفي كل الأحوال لا نغامر بالرأي القطعي بالرغم من وجود وجاهة في هذا الأمر.

والآن نرجع إلى ما كتبه الأب أنستاس ماري الكرملي عن مزارات بغداد ص 162 في عام 1913 م، قال: إن الملا أحمد بن ملا زيدان يزرع الخضروات بهذا المكان، وفي أحد الأيام بينما كان يحفر بئراً أو حفرة فوجد صخرة مكتوبا عليها هذا قبر الشيخ محمد الغزالي المشهور وكان في ذلك الزمان أي منذ مائتي سنة أحد ولاة بغداد، وحين سمع هذا الوالي بذلك، أمر بتعميره وبناء قبة عليه وغرفتين أي بمساحة بيت صغير، نقول إن رواية الكرملي هذه التي جمعها من أفواه عامة الناس دون سند أو دليل، تصطدم بحقائق وادلة، ومنها مضبطة رسمية لقاضي بغداد نعمان بن الإسماعيل سنة 1086 هـ / 1675 م، والمضبطة تقول: حضر مجلس قضائه سلاحدار حسين باشا محافظ مدينة البصرة فوقف عقارا على لوازم سقاية الماء التي شيدها هو وأجرى فيها الماء من دجلة العظمى إلى جامع الفضل وجامع الشيخ عمر السهروردي وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني... ومرقد الغزالي.. وطلب تسجيل الوقف بشرائطه وضوابطه وبعد الترافع حكم القاضي بصحة الوقف ولزومه وسجله في سنة 1086 هـ / 1675 م مع توقيعه وختمه: قضاة بغداد: ج 2، ص 163.

فالمرقد معروف ببغداد قبل أربعمائة سنة، وليس اكتشافا جديدا، ووجود شاهد القبر واحد من الأدلة المعتبرة التي لا يمكن إهمالها مع باقي الأدلة الأخرى، ويقع هذا المرقد في مقبرة

وبعد أن أتممنا الصلاة وزرنا الإمام فنفحتنا جوائز الصلاة، عدنا مصاحبين للخطيب ذي الفضل الجسيم الشيخ إبراهيم، ولما وصلنا إلى مزار ذي القدر العالي، سيدي محمد بن محمد الغزالي، وقفنا وقرأنا معه الفاتحة ودعونا الله تعالى بجاهه أن تكون تجارتنا رابحة.

ومما اشتهر عن سيدي أبي الحسن الشاذلي حادي العوالي، أنه كان يقول: من كانت له إلى الله حاجة، فليقم عليه بأبي حامد الغزالي. فقلت له: إن الصحيح أنه لم يدفن هنا، فقال: نعم بل في طوس.

فقلت: لعله سيدي أحمد الصوفي شقيق أبي حامد.

فقال: المشهور أنه سيدي محمد رضي الله تعالى عنه.

=

الغزالي ببغداد في الجهة الشرقية الجنوبية بعبور الشارع من الحضرة القادرية.

وإذا ما تجاوزنا هذا التاريخ القديم وهذه المضبطة (الوثيقة الرسمية)، نرجع إلى حدث أكبر لا يمكن إهماله وأبعد من سابقه تاريخياً، هو زيارة السلطان العثماني سليمان القانوني الذي دخل بغداد عام 941 هـ / 1534 م، بمعنى آخر قبل خمسمائة عام، وكتب وقائع حركة السلطان الرحالة مطراقي زادة قال: وبعد ذلك باشر حضرة السلطان بزيارة الأضرحة والمراقد التي دفن فيها الشيوخ العظام (ذكر عددا من المراقد إلى أن) وكذلك محدث الأحاديث النبوية ووارث الموارث المصطفوية، صاحب العز والمعالي الإمام محمد الغزالي.

رحلة مطراقي زادة، ص 85، فالقبر كان معروفا ومشهورا بين الناس، بحيث يزوره سلطان الدولة العثمانية بنفسه علماً أن عددا من الصحف تناولت الموضوع في السنين الأخيرة.

ومما نشرته الصحف في هذا المجال عن قبر الإمام الغزالي ببغداد:

مجلة ألف باء 1990/21/12 جريدة الجمهورية 1993/8/18.

جريدة الثورة 1993/9/4 جريدة العراق 1993/9/16.

التآخي 2004/11/2 الدستور 2004/1/16.

الزمان 2005/6/30 الصباح 2005/8/29.

وغيرها كثير، وعلمت أن كتابا صدر عن اتحاد المؤرخين العرب بعدد 86 في 1993/7/12 جاء فيه: ثبت تاريخياً وبما لا يقبل الشك أن مرقد الإمام الغزالي في بغداد... والكتاب بتوقيع الدكتور مصطفى عبد القادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب. وبهذا القدر نكتفي والله أعلم.

مسألة في التوبة

وكتبت للولد القلبي[1] الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد الموفق كتاباً... وقد حرر الكتاب تجاه قبة الأقطاب[2] رفيع الأنساب سيدي عبد القادر قدوة الجم الغفير، حول الله حالنا بجاهه...

وقد سأل صديقنا الشيخ حسن الكردي عن معنى قوله سيدي أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي المعروف بابن العريف (قدس الله سره): وقد تاب أقوام كثير، وما تاب إلا أنا.

فأجبته عن سؤاله في ورقة صغيرة على قدر حالنا لا حاله وصورتها، في الباب 73 من الفتوحات[3]: قال رويم وقد سُئل عن التوبة: التوبة، التوبة من التوبة.. ومنشأ هذه التوبة، شهود الفعل لله وحده، فيتوب أولاً من الذنب، ثم يرى أن رؤيته لتوبته، وشهود صدور هذا الفعل منه ذنب فيتوب منه أيضاً، وهذا من مقام توحيد الأفعال، المشار إليه بقول سيدي أرسلان الدمشقي[4] (قدس الله سره) في أول رسالته: كلك شركٌ خفي، وما يبين لك شركك، إلا إذا خرجت عنك، فكلما أخلصت، كشف الله لك أنه الفاعل لا أنت، فتستغفر منك، وكلما وحّدت بان لك الشرك، فتجدد كل ساعة وموقف توحيداً وإيماناً، وكلما خرجت منه، أي من مقام نظرك إلى توحيدك، زاد إيمانك، وكلما خرجت منك زاد يقينك. انتهى.

فمن استغرقه شهود توحيد الأفعال، لا يرى له فعلاً، وإن عمل وجَدَّ واجتهد، ضمن باب الامتثال، وذوق هذا المتعلم يُنال بالسير والسلوك في طريق ملك الملوك، فلا يفي به قال دون حال...

---

(1) الولد القلبي عند السادة الصوفية هو المريد المخلص عند شيخه.

(2) قبة الإمام الكيلاني وهي من أشهر القباب ببغداد لكبرها وطرازها المعماري.

(3) الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربي.

(4) أرسلان الدمشقي: من كبار مشايخ الصوفية وله كرامات، توفي 560 هـ، انظر: جامع كرامات الأولياء جـ 2، ص 75.

حديث المصافحة

وفي صبيحة يوم الثلاثاء... ورد صديقنا... الفاضل الأريب الأديب الشيخ عبد الله الدوري المشهور بالسويدي، وكان قد سألنا: هل لكم في حديث المصافحة سند بالفعل لا الإجازة؟

فقلت له: نعم، لنا ذلك عن الشيخ حسن بن عبد الله فقيه السادة الحنفية بدمياط وقلنا: حتى تأتوا إلى الخلوة ونوقفكم على السند العال، فأجاب لذلك، سلك الله بنا وبه أحسن المسالك.

فعندما ورد علينا، أخرجت له السند الذي لدينا، وكنت قد سطرته في الرحلة التي سميتها (النحلة النصرية في الرحلة المصرية)، وصورة ما دعيت فيها، وأخذنا عنه حديث المصافحة، فصافحني[1] وقال قد صافحتك كما صافحني شيخنا أحمد البنا، كما صافحه شيخه الشيخ أحمد بن عجيل اليمني، كما صافحه شيخه الشيخ تاج الدين النقشبندي الهندي، كما صافحه الإمام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن الشهير بحاجي رمزي، كما صافحه شيخه حافظ علي أربهي، كما صافحه شيخه الشيخ محمود اسفراذي، كما صافحه أبو سعيد الحبشي الضحاك، كما صافحه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، والحديث: إني صافحتك فمن صافحك بستٍ أو سبع لم تمسه النار، وفي رواية دخل الجنة.

والشيخ حسن، بيّنهُ وبين الصحابي ستة أشياخ، وقال: وقد أخبرني شيخنا الشيخ أحمد البنا، أن هذا السند أقرب الأسانيد في المصافحة.

---

(1) ذكر ذلك الشيخ عبد الله السويدي في النفحة المسكية في الرحلة المكية، ص 78 قائلاً: وأخذت حديث المصافحة عن العارف بالله... سيدي السيد مصطفى البكري الصديقي... وحديث المصافحة هذا قوله صلى الله عليه وسلم: من صافحني أو صافح من صافحني بست أو سبع دخل الجنة وفي رواية: من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة، لا حديث المصافحة المشهور المروي عن أنس (ﷺ) حيث قال: صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما مسّت خزاً ولا حريراً ألين من كفه صلى الله عليه وسلم.

قال: وإن لي سندا غير هذا، موافقاً سند السيوطي ورجاله ثلاثة عشر. انتهى.

وذكر شيخنا الشيخ محمد البديري الشهير بابن المتيه، في ثبته المسمى بالجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي، هذا السند بعينه، ولم يورد هذا الحديث، وهو من صافحك... الخ، بل قال فيه ومن فوائد المصافحة زيادة على حصول البركة، ما أشار إليه الولي الصالح أبو عثمان الجزائري، أنه كان إذا صافح إنساناً شدّ على يديه، وقال المراد بهذا الشدّ الاشتداد في تأكيد الصحبة، ويروى بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة، انتهى.

وبعدما قرأت للشيخ عبد الله السابق ما تقدم من السند، صافحته كما صافحني شيخنا الشيخ حسن الأمجد.

ولما أخذ في كتابته، ردّ بعض الأحباب منهم الملا محمود صديقنا السابق في الصحبة والاقتراب، ثم إنهم طلبوا المصافحة بالسند المذكور، فصافحناهم وأجزناهم به[1]، أعظم الله لنا ولهم الأجور.

أوتاد العراق[2]

قلت متوسلاً:

إلهي بأوتاد العراق أئمة	صناديد هيجاء وفرسان ميدان
بأرفعهم فرد العلا ابن حنبل	هو الجهبذ الداعي لتنزيه القرآن
ببشر ومعروف وسهل كذا	السري جنيد ومنصور ومفخر جيلان
أنلني المنى كيما أفوز بمطلبي	وأشرب صهباء وأدخل بستان

كتب صوفية

وفي عصرية يوم الخميس ورد علينا صديقنا حسن أفندي وأخوه، وكان سبق

(1) الذين أجازهم الشيخ الصديقي بحديث المصافحة وصافحهم، الشيخ عبد الله السويدي، الشيخ حسن الكردي، الملا محمود إمام مسجد الكازروني.

(2) الأوتاد: أربعة عند السادة الصوفية وهو مقام رفيع.

له تردد وتودد قلبي به لا يفوه، وصحبته (كشف الران عن أسئلة الجان)[1] للإمام الشعراني (قدس الله سره المصان) وكان أخذه لينتسخه فلما أتمه جاء به بدون مقابلة[2]، فأمر تربها ليحصل لمن ينقل منه وجه مقابلة، و(مواقع النجوم)[3] للهمام الأكبري، وكنت أشرت له بمطالعته، فإنه كتاب غريب ألمعي أنوري.

فقلت له: إن أمكنك استنساخه فهو جدير بأن ينسخ، ويتدبر ويتعقل فقبل، وعزم أن يفعل، وجاءني بشرح منازل السائرين: للإمام سليمان عفيف الدين التلمساني، والمنى لسيدي أبي إسماعيل عبد الله ابن محمد الهروي الأنصاري رضي الله عنهما ونفع القلب بحبهما، فسررت به، وأوردت ألحاظي فيه...

الشيخ عبد الكريم الرحبي[4]

وورد عقبه صديقنا الفاضل الكريم الشيخ عبد الكريم المشهور نسبه الكريم بالرحبي، وهو ممن له معنا صحبة وخلوص، بلغه الله منازل إهداء الخصوص، وقد دعانا فيما سلف لداره.

مرقد الشيخ محمد الخلايي[5]

وزرنا حال توجهنا إليه جناب الشيخ محمد الخلايي، الكائن بجواره، قدمنا إليه بأسراره، وأمدنا ساطعات أنواره.

الإمام الغزالي ووحدة الوجود

فجرى ذكر الكلام معه[6]، إلى الإمام الغزالي قدس الله سره العالي.

---

(1) طبع هذا الكتاب.

(2) مقابلة المستنسخ من النسخة الأم للتأكد.

(3) كتاب للشيخ الأكبر ابن عربي (قدس سره).

(4) آل الرحبي: من عوائل بغداد العلمية، كانت لهم اليد الطولى في الإفتاء في بغداد وكذلك البصرة.

(5) لربما وقع تحريف باسم (الخلايي) ولعله (الخلاني) أو (الخلال) في بغداد وكان بقربه تقع منازل آل الرحبي، وغير بعيد مسجدهم مسجد الرحبي.

(6) لا زال الكلام والحوار بين صاحب الرحلة والشيخ عبد الكريم الرحبي.

فقال: إنه يسير إلى القول بوحدة الوجود في محلات من إحيائه المورود

فقلت: إن وحدة الوجود، كل الخلق قائلون بها، لكن على اختلاف في الأذواق والشهود، فإن أهل الظاهر والباطن أجمعوا على أن الوجود الحق واحد لا تعدد فيه، وعلى أن وجود الخلق حادث، ومنكر الخليقة عند الطائفتين كافر لإنكار النص الكريم، وإذ سُئل أحد من علماء الظاهر عن وجوده، هل له حركة من نفسه أو هل له سمع وبصر من نفسه أو حول أو قوة يقول: لا بل حركته بالله وحياته وسمعه وبصره به، فيقول له العالم من أهل الباطن، فإذا هذا الوجود الحادث كالعدم بل عدم، لأن ما كان أوله عدما وآخره عدما، ولا إرادة له ولا قدرة له، فهو عدم، وإنما بقاؤه بالسر، فإذا الوجود الذي يصح إطلاق الوجود عليه الفناء بذاته عما سواه، المفتقر كل ما عداه إليه، هو وجوده تعالى لا غير، فالوجود الحقيقي واحد وما عداه مجازي هبائي نسبي إضافي، فثبت القول من كلا الفريقين بوجود الوجود، غير أن أهل الباطن من اشتغلوا بتنوير القلب، وتزكية النفس، وطهارة الروح، أشرقت أفئدتهم أنوار السبوح، فلم يشهد المكاشف لقلبه حالا ورد عليه إلا النور، وغابت عنه ظلمة الكون، حتى ربما تصدر عنه عبارات، تشير لكشفه كقوله ما في الوجود إلا الله، أو ليس في الكون إلا الله، وغير ذلك من العبارات...

وبعده طلب الصديق الحسن الإجازة بحديث المصافحة على وجهه الحسن فصافحناه وأخاه خليل[1] خصهما الله بمدده الجليل.

وجاء صبيحة يوم الجمعة وكتب السند المقدم الذي يعلوه الواصل بتقديم وذكر لنا صلوات سيدي عبد الله السقاف أحد أولاد سيدي عبد الرحمن السقاف[2] اليمني صاحب الاستشراف والاستكشاف المسماة بـ (الصلوات الختام على النبي الختام)... ولما أخبرني بها طلبتها منه لأتبرك بتلاوتها، والنظر إليها ولو في العُمر مرة.

---

(1) إضافة إلى المشايخ المتقدم ذكرهم الذين حصلوا على سند حديث المصافحة، ومصافحتهم، يضاف إليهم الشيخ عبد الكريم الرحبي وأخاه خليل الرحبي.

(2) من عوائل اليمن المعروفة. استوطنوا بغداد ولا زالوا.

الحضرة المعروفية

وفي الصباح مع الأخ إسماعيل وإبراهيم ونحن في خط صراطه قويم إلى ذلك الجانب، إلى أن وصلنا تلك الحضرة المعروفية، وجلسنا في هاتيك الروضة البهية الوفية.

عيدروسية بغداد
الشريف عبد الله الحدادي العيدروسي

فنادانا بعد الخروج لتلك الساحة، جناب الشريف العلوي السيد عبد الله الحدادي، وكنت لم أجتمع بجنابه، لكن سمعت بصفو شرابه، فسلّم ودعا بعد التحية لداره، فأجبناه بعد أن تتم الزيارة أننا نسعى لجواره، وأول من زرناه سيدي منصور بن عمار، ثم واجهنا على البُعد جناب صديقنا الأحمد السيد محمد القادري الأمجد، فقابلنا بوجه بالسرور مسعف مسعد، وأخبرنا أنه رأى أنا كنا وهو في مكان عظيم، جيء لنا بمائدة مذاق أطعمتها مثاله عديم... فقلت له في هذا الوقت تُفسر هذه الرؤيا عند ذي النون... وأخبرنا السيد أحمد أنه تراءى له الشيخ بلحيته بيضاء ما بها سواد، وقد قيل إن من خصائص أولياء الله تعالى الأحياء في قبورهم أولي الإسعاد، متى حضر الزائر عندهم، وذكر الله ثلاث مرات، جلس أيضاً في قبره، وأكملنا زيارة الباقين... ولما قربنا داود[1] عاينا أصدقاءنا أصحاب الحبل الودي الممدود، المحب الحسني وشقيقه وصديقنا صديقه ذو الالتياع الحاج علي الشماع... وأخبرناهم بدعوة السيد عبد الله... وسرنا وعندما وصلت لدار السيد المذكور، سألته عن السقاف، لأنه قريبه في النسب الباعلوي العيدروسي[2]

---

(1) داود الطائي.

(2) العائلة العيدروسية باعلوي أصلهم من المدينة المنورة، وانتقلت إلى تريم في اليمن ثم توزع بعض أفرادها في البلاد، ومنها العراق وكان القادم إلى العراق السيد عبد الله الذي أسس تكية في الكرخ وأخرى في الرصافة ومدافنهم فيها، وتوفي السيد عبد الله العيدروسي ببغداد 1177 هـ ذكر في مراقد بغداد للشيخ يونس السامرائي، ص 82 وتاريخ هذه العائلة في النور السافر لمحيي الدين عبد القادر العيدروسي، دار الكتب العلمية، ص 77.

المشهور، فأخبرني ببعض مناقبه التي سمعها من أحد الأعيان، من أنه كان مجذوباً مستغرقاً مسلوب الاختيار، قاطناً في المدينة المنورة... وكان رضي الله عنه من الملامتية الأخيار، وأن خادماً له ذهب في الفلا الكبير الواقع من نحو السبعين أو التسعين، لبعض الأغراض، فأمسكه طباخ، وكان الغلام طفلا سميناً نفاخاً، فذبحه... وكان يطبخ هريسة فباعه للناس، ودفن في محل خفي منه الكراع والعظام والرأس، فجاءت أم الغلام تطلبه من الشيخ، فتلاهى الشيخ عنها بحاله، ثم لما ألحت... قال لوالدة الغلام اذهبي إلى محل كذا ونادي ولدك، فإن اختار المقام عندك فخذيه وإلا فدعيه ولا تؤذيه، فلما نادته إذا به قد خرج لها، وعلى رأسه تاج من الياقوت ولباس من الحرير....

ثم انتقلنا إلى ذكر سيدي العالم الرباني السيد عبد الله الحداد ابن باعلوي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد الحداد الحسيني التريمي الأشعري المتوفى في ليلة الثلاثاء ثامن ذي القعدة سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين وسنه قد قارب التسعين، وقد ترجمه ترجمة كاملة تلميذه السيد عبد الرحمن بن علي باعلوي، وترجم له أيضاً السيد أحمد بن عيدروس باعلوي[1]، وترجمه الشيخ عبد الله باشراحبيل وأثنى عليه كثيراً السيد محمد شلبة باعلوي في كتابه (المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي)... ثم أحضر بعد القهوة ما تيسر من زاده فمزجناه بذكر هذا السيد... وحضر عندنا صديقنا الملا محمود لحكمة اقتضاها... ثم ودعنا السيد.

معنى قطب الأقطاب

وسرنا بصحبة الصديق (الملا محمود) لدار السيد أحمد ليجمع شملنا بأصدقائنا لديه فحضروا عنده، ونلنا معهم رفده، سألنا صديقنا حُسن السؤال والجواب، عن معنى قولهم فلان قطب الأقطاب؟

وكان سائل هذا السؤال، السيد أحمد، وأجبته بأن لكل مقام مقالا، قطب من

---

(1) واستمرت العائلة العيدروسية ببغداد ومنهم السيد حبيب العيدروسي الذي شارك في أحداث ثورة العشرين 1920 م وكان ينقل رسائل الثوار بين بغداد وديالى، وحكم عليه وتأذى، ولهم أراضي في ديالى.

الرجال، وليس سائر الأقطاب هو القطب الغوث[1] الفرد المهاب، وأجبت السائل المذكور، بأن الأقاليم سبعة كما هو مشهور، ولكل واحد منها قطب لواء قطبانية منشور، ويقال لهم الأبدال، وللمشرق قطب، وللمغرب قطب، وقطب المشرق أعلى عند الحضور، وقطب هذه الأقطاب ومن تحتهم من أهل المراتب أولي الدستور وهو القطب الغوث، وهو محل نظر الحق من فلقه في كل العصور، وهو على قلب إسرافيل صاحب النفخ في الصور، إذ هو النافخ في أرواح العالم، وهو نائب أربعة: عيسى وإدريس وإلياس والخضر عليهم الصلاة والسلام، ولا يعرف نفسه أنه نائب إلا إذا تولى منصب القُطبية... وهؤلاء الأنبياء الكرام نواب سيد الكائنات في جميع الدهور، وعلومه ستة عشر علماً إحاطياً سرها متنور، ولكل علم عالم خاص به وعليه مقصور، وإذا أبسط الحق الدائرة لأحد الأقطاب، اتسعت عليه دائرة علومه، فشاهد من العوالم بقدر اتساعها وانكشف له ما لم ينكشف لغيره، ممن شاركه في القدر الأول، قبل ارتفاعها، ولا بد أن تبايعه سائر الحيوانات والجسمانيات والأوليات والآخريات، حتى لا يخرج من دائرته شيء، إذ هو الخليفة الأعظم والإمام المقدم.

وكثيراً ما يتعهد بعض الناس فلان قطب، ولا يعرفون معنى القطبانية الكبرى المتصرف صاحبها في عالمي الدنيا والآخرة، الذي لا تتحرك في الكون ذرة إلا بعلمه، ولا تسكن إلا بحكمه، وكل من عداه فمستمد منه، ومتلق عنه، فهذا المقام عزيز المرام، من دونه قطع الرقاب ومن قبل العثور على أدنى مراتبه تهون الصعاب، بل مقام الوتدية[2]

---

(1) القطب: هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان.
أما الأقطاب: وتسمى (القطبية الكبرى) فلا تكون إلا لورثة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة.
أما القطب الغوث: يسمى غوثاً في ساعة الالتجاء إليه.
انظر: التعريفات - الشريف الجرجاني، ص 100.

(2) الوتدية: من الأوتاد: هم أربعة رجال على منازل الأربعة الأركان في العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب.

بـل البدلـية[1] بـل النجباء والنقباء[2]، كـذلك بـل مقـام الثلثمائة، بـل مقـام أولياء أقدام الأنبياء.

شرح صلوات نبوية في بغداد

ثم عدنا إلى دار صديقنا الأمجد السيد أحمد وبتنا جميعاً... وتوجهت إلى الخلوة في الصباح، وشرعت بعد العصر في شرح صلاة الفرد المحمدي، المسمى بالرحاب الأنورية على الصلاة الأكبرية[3]، فتم يوم الخميس السابع من جمادى الثاني النفيس، وكنت تمرضت أواخر الشهر أياماً، ومكثت عند الصديق الأمجد، ثلاثة منها تماماً، فانشغلت عن إتمام شرح الصلاة البكرية، فلما شفيت بحمد الله رب البرية، كرمت على إتمامها فتمت يوم السبت السادس عشر من جمادى الآخرة في الجانب الثاني من ناحية معروف الكرخي الرباني.

وكنت ليلة دخولي إلى الموصل وهي ليلة الأربعاء الثانية من ربيع الثاني، وقعت بيدي صلوات تنسب أيضاً لسيدي محمد البكري، فوقع في خاطري شرحها، فتمت في مجلسين وبقيت في المسودة، فبيضتها في هذه الأيام، وسميتها (النفحات

---

(1) البدلية: هم سبعة رجال من سافر من موضع وترك جسداً على صورته، حيا بحياته ظاهراً بأعماله أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقط، وعند الإمام عبد القادر الكيلاني في الفتح الرباني البدلاء هم بدل عن الأنبياء يقومون بعدهم وعلى سيرتهم في تأكيد شريعتهم، وهم من الأولياء.

(2) النقباء: هم الذين تحققوا بالاسم الباطن فأشرقوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر.
انظر: التعريفات للشريف الجرجاني:ص 134.

(3) الصلوات الأكبرية، للشيخ الأكبر ابن عربي، طبع مرتين بالقاهرة 1303 هـ، وسنة 1310 هـ، وهناك (صلوات ابن عربي) و(صلوات شريفة) و(الصلاة القطبية)، والصلوات التي قام بشرحها صاحب الرحلة هي الصلاة الفيضية وتسمى الصلوات الكبرى، وسمي شرحه فيما بعد بـ (الهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية) وهذا النص يوضح أنها ألفت في بغداد وكان تمامها في السادس عشر من جمادى الثاني 1139 هـ.
انظر مؤلفات ابن عربي - عثمان يحيى، ص 401 - 402.

الربية على الصلوات البكرية[1].

وفي يوم السبت قطعنا الجانب الثاني بقصد زيارة حمامة أهل التهاني فزرنا معروفاً... وكرينا لزيارة ذي النون... وخرجنا منه إلى الجنيد والسري... وعملنا في حضرتهما ذكراً أيضاً.

تكية رفيع

وأتينا صحبة الصديق الأوحد، قاصدين تكية رفيع المرقد، فلما وصلنا إلى سيدي قنبر[2] خادم ركاب سيدي علي الأفخر... قرأنا له الفاتحة، وكنا زرناه غير هذه المرة.

الشيخ سراج الدين ومحمد الألفي[3]

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى سيدي الشيخ سراج الدين، ذي القدم المكين المتين، الذي يجذب كل ذاهب وآيب إليه، ويوقفه للفاتحة لديه، ولو رغماً عليه، وكذلك سيدي محمد الألفي، ذي الشهد الأنفي، والود الألفي، قدس الله سرهما ورضي عنا وبهما.

منحه الإجازة القادرية[4]

وبعد زيارتهما أتينا باب الحضرة القادرية وصلينا تحية المسجد، بعد الفاتحة والدعاء، وبعدها أيضاً دعونا الله تعالى أن يرزقنا عليه جمعا، فأمسك السيد أحمد القادري بيدي كلتيهما، فأمسك اليمين باليمين، والشمال بالشمال، وقال هذه طريقة

---

(1) تاريخ تأليف كتاب آخر لصاحب الرحلة.

(2) يقصد مرقد قنبر علي في المحلة المنسوبة إليه، وهو من مشايخ الصوفية في العهد الجلائري، ويقع مرقده في جامع قنبر علي.

(3) الشيخ محمد الألفي: كان في الأصل تكية ثم تحول إلى مسجد الألفي، قرب الحضرة القادرية، - الصدرية - وفيه مرقد الشيخ محمد الألفي، انظر هامش د.عماد عبد السلام على العقد اللامع ص 411 - 412.

(4) حصل الشيخ مصطفى الصديقي البكري على الإجازة القادرية منتصف جمادى الثاني 1139 هـ في الحضرة القادرية من قبل السيد أحمد القادري الكيلاني.

سيدي عبد القادر قدس الله سره، وطلب الأخوة، وقبلنا له أخاً وقبلناه.

في بيت الرحبي

وجاءنا عشية اليوم ولد صديقنا الشيخ عبد الكريم الرحبي داعياً إلى التوجه لداره ظهرية يوم الثلاثاء... وقد رافقنا في الذهاب إلى زيارته صديقنا الشيخ محمد بن موسى الرفاعي... وهو ممن له محبة واعتقاد في الأخ المرحوم الشيخ عبد الكريم القطان أحد الأفراد.

وكنت يوم الثلاثاء السالف مضيت مع الشيخ أحمد والملا محمود إلى زيارة الإمام الأعظم ومن بجواره... وقرأت لهما الترجمة التي سميتها (الصراط القويم في ترجمة الأخ الشيخ عبد الكريم)[1].

ولما وصلت دار الداعي، رأينا عنده صديقنا الشيخ السيد عبد الرحيم، جميل المساعي أحد الأولياء، أولاد الباز الأشهب... ثم ورد بعد هنيئة الصالح الفالح الشيخ عثمان النجدي، وكنت اجتمعت به أيضاً عند الأخ السيد أحمد وبعد أن طالع لنا الصديق الشيخ عبد الكريم صحفاً في ثبت الشيخ أحمد النخلي.. حضر الطعام فتناولنا منه ما تيسر وبعد حصة، استأذناه وودعناه إلى الخلوة. وأخبرني الأخ في الله تعالى السيد أحمد، أنه في الصباح دخل قبة الشيخ ودعا لنا بدعوات عواقبها تحمد.. وأشار بتأخر الذهاب إلى البصرة، إلى ما بعد هذه الجمعة فسألت الله أن يحقق لنا بما يسرنا به.

الحكم العطائية

وفي ضحوة يوم الخميس آخر شهر جمادى الثاني، ختم الصالح الفالح الداني الشيخ حسن الكردي، الحكم العطائية[2] الرفيعة المعاني، البديعة المباني

---

(1) كتاب مهم في ترجمة واحد من شيوخ العراق (الشيخ عبد الكريم الرحبي).

(2) الحكم العطائية، للشيخ ابن عطاء الإسكندراني (ت709هـ)، وشرحت الحكم العطائية من قبل كثيرين منهم: شرح زروق، والنفري، والأقصراني، وأبي المواهب، والمناوي، انظر كشف الظنون - حاجي خليفة. ج1، ص 520.

وقرأنا الفاتحة، عقب ختمها لمؤلفها الرباني.

وقد طلب منا الإجازة بها وبغيرها مما للمؤلف من كتاب نوراني، فأجبته لذلك راجياً من من المالك أن يسلك بي وبه أحسن المسالك.

الإجازة البكرية

وقد طلب منا (الشيخ حسن الكردي) الإجازة بها وبغيرها مما للمؤلف من كتاب نوراني، فأجبته لذلك راجياً من مَنِّ المالك، أن يسلك بي وبه أحسن المسالك وصورة ما كتبته هو ذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من خصائص هذه الأمة المحمدية الأمجاد، الاعتناء بالدراية مع الضبط والنقد وعلو الإسناد، وأقام منها رجالاً يميزون بين الموضوع والمرفوع، والموصول والمقطوع لأنهم النقاد، فلا يمر بهم قول منكر إلا وتنكره قلوبهم لكمال التهيؤ والاستعداد، والصلاة والسلام على المحرض على التبليغ والإتقان فيه لكل راوٍ من الأفراد، بقوله (بلغوا عني ولو آية وانقلوا الحديث إلا ما علمتم)، رواه البخاري، علم الأوتاد، وعلى آله وأصحابه الذين أوضحوا لنا سبيل الرشاد، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد. فيقول أفقر العباد، وأحقر العباد، مصطفى بن كمال الدين، بلغه الله المراد، الصديقي نسباً سبط الحسين ولي الإسعاد، الخلوتي سلوكاً ومشرباً، القادري التماساً وأدباً، النقشبندي إجازة وأخذاً روحانياً يورث حبا، الحنفي مذهباً[1]. قد التمس مني الحب في الله، والمستجير بوجه الله، من عذاب الله، المنتمي لجاه رسول الله ﷺ، الصالح إن شاء الله للقرب من الله، ذو النعت والخلق الحسن، الشيخ حسن بن كرك بن بير حسين علي بن خليل البيروسي قرية، والليوتي عشيرة، والحكاري ناحية[2]، أن أطالع معه الحكم العطائية ذات المعاني البديعة العلائية، فأجبته وإن لم أكن أهلاً لما طلب، راجيا منه دعوة صالحة

---

(1) الاسم الكامل لصاحب الرحلة مع مذهبه وإجازته الصوفية، الخلوتية القادرية النقشبندية، وهو حنفي المذهب.

(2) الاسم الكامل للشيخ حسن الكردي: حسن بن كرك بن بير حسين علي بن خليل البيروسي الليوتي الحكاري.

أبلغ بها الأرب، ثم لما أتمها قراءة، مبدياً عن خوافيها، طلب الإجازة من الحقير فيها، فأجزته كما أجازني فيها، شيخنا الهمام العالم المقدام، الشيخ محمد ابن البديري البكري، الضرغام فإنه أجازني بثبته المسمى (الجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي)، وقد قال فيه، الحكم ابن عطاء الله الإسكندري، أرويها بالسند إلى القاضي زكريا الأنصاري، عن العز عبد الرحيم بن الفرات، عن التاج عبد الوهاب ابن علي السبكي، عن والده تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي عن مؤلفها تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، نفعنا الله تعالى ببركاته وطلب الإجازة، بكتاب المصابيح، وقال شيخنا المذكور في ثبته المصابيح وشرح السنة للحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الفرا الملقب بمحيي السنة، وسائر لضيافته قراءة لبعضها، وإجازة لسائرها بالإسناد إلى الفخر ابن البخاري عن فضل الله بن أبي سعيد التوقاني عن البغوي، ومن أجازني بمشيخته وثبت والده شيخنا الهمام بركة الشام، الشيخ العلامة والعمدة الفهامة أبو المواهب محمد ابن عبد الباقي الحنبلي البعلي، ومنهم الشيخ العالم الكامل والمحدث الفقيه العالم المرحوم محمد بن علي الكامل فإنه أجازني بمشيخته ثم بثبته، وممن أجازني في تأليفاته خاصة وبما يجوز له وعنه روايته عامة شيخنا الهمام عبد الغني بن إسماعيل النابلسي المقدام، وقد تجاوزت مؤلفاته المائتين والخمسين فسح الله في أجله للمسلمين.

وممن أجازني بمشيخته شيخنا المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر، المتجاوز سنه على المائة كابر، الشيخ عبد الرحمن الشهير بالمجلد، فسح الله في أجله وأحسن إليه، وهو أول من انتفعت به وقرأت عليه، وممن أجاز لي بمشيخته الأمجد والعالم العامل المفرد، الشيخ محمد بن أحمد الخليلي، وغيرهم من الأشياخ الكرام، وبلغنا الله بهم المرام، وقد أجزت المشار إليه، أسبل الله الستر علينا وعليه، بكل ما يجوز لي عنه روايته بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، وأوصيه كوصية أشياخي لي، بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته والله يوفقنا وإياه لمرضاته... آمين[1].

---

(1) نهاية إجازة صاحب الرحلة، وجاء فيها ذكر الشيخ عبد الرحمن المجلد قال عنه وهو أول من انتفعت به وقرأت عليه، بما يفيد في دراسة سيرة الشيخ مصطفى الصديقي.

ذكر عند داود الطائي

وفي عصرية يوم الجمعة أجبنا دعوة الصديق الحاج بدر، وبعد المغرب توجهنا صحبة الأخ السيد أحمد، والداعي وغيرهما من ذوي القدر، إلى المبيت عند سيدي الشيخ داود الطائي قدس الله سره.

وقرأنا بعد الصلاة ورد العشاء وشرعنا في الذكر إلى ذهاب الغشاء وحصل لنا حظ تام... وختمنا بعد مضي أكثر من ساعتين أو ثلاث، وبعد الثلث الأول وكان الليل قد استسر بغاثه بفاته، عدنا إلى الذكر مرة ثانية، بهمة غير ونية، وبعد أن مضى الثلث الثاني شرعنا في ورد السحر راجين الفيض الإحساني، وبعد الختام هجعنا هجعة بقصد الراحة، في تلك الحضرة الفياحة... وبعد أن صلينا الصبح أسرعنا للزيارة المعروفية.

وكنا دعينا ليلاً لدار صديقنا.. خليل القاوقجي.. وكان دعانا قبل ذلك صباحاً لداره... وبعد أن صلينا دعونا الله تعالى نيل قوة ينكشف بها الحجاب.

وسرنا قبيل المغرب لدار... خليل ابن الحاج محمد وأخيه أحمد ومصطفى والحاج بدر والأخ إبراهيم وإسماعيل وفق الله الجميع... وجلسنا معهم بعد الصلاة للورد والذكر.

الرسالة الأرسلانية

وبعد الفطور توجهنا... نحو الخلوة النورية في التكية القادرية، وبعد الظهر بحصة يسيرة جاء الصديق الشيخ حسن الكردي... ومعه شرح الرسالة الأرسلانية لصاحب المرتبة الإحسانية الشيخ شهاب الدين أحمد بن بدر الدين إبراهيم الطيبي، وشرحها أيضاً السيد علي بن علوان الحموي[1].

---

(1) لعله يقصد علي بن عطية المعروف بالشيخ علوان، من كبار الفقهاء وأكابر الصوفية، له كرامات معروفة (ت 936 هـ) وترجم له ولده الشيخ محمد بكتاب (تحفة الحبيب)، وذكر ترجمته الشيخ يوسف النبهاني في جامع كرامات الأولياء. جـ 2، ص 367 وما بعدها أما الرسالة الأرسلانية فذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون. ج - 1، ص 636، رسالة الشيخ أرسلان، في التصوف.

وكان عندي شرحها لشيخنا الشيخ عبد الغني المسمى (خمرة الحان ورنة الألحان على رسالة الشيخ أرسلان) وقد بقيت النسخة في الموصل، ولكن عندي شرحها لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري رضي الله عنه، وآخر للشيخ منصور خطيب جامع السقيفة، وقد استحسنت كلا من الشرحين الأولين.

حديث شريف وخاتم في دجلة

ولقد رأيت منقولاً من المحاضرات للسيوطي رحمه الله تعالى فيها: قال: أخرج ابن النجار من طريق أبي الحسين بن سمعون وأبي اسحاق الطبري قالا: سمعنا جعفر بن محمد الخالدي يقول: كان لي خاتم ورثته من أبي فعبرت دجلة فمددت يدي لأغرف من الماء فسقط الفص مني، فذكرت حديثاً روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ هذه الآية على شيء ضاع منه رده الله عليه، فقرأتها ويدي في الماء فإذا الفص بين أصابعي والآية: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة آل عمران، الآية9)، اجمع بيني وبين خاتمي إنك على كل شيء قدير.

إجازة للسيد أحمد ابن السيد عبد الله القادري

وقد طلب الأخ الأمجد المحبور، بكامل الأجور، السيد أحمد ابن السيد عبد الله القادري حباه الله بالحبور، أن أُجيزه[1]، بما لي من منظوم ومنشور، فبادرت لإجابة سؤاله، كيما أفوز منه بدعوة توجب الحضور.....

أهل الجذب

وفي يوم الأربعاء قرأ الشيخ حسن في الشرح[2] أيضاً، وكان قبل هذا بيوم ورد عليّ بعض أحباب، وسألوني في شأن أهل الجذب، المملوء منهم الوطاب، هل يصح لنا فيهم الاعتقاد أو لا يصح، لمخالفتهم ظاهر النص حسب ما يبدو لعيان العباد؟

---

(1) الإجازة في أصل المخطوطة مكررة عن إجازته السابقة، لذا حذفناها من النص.

(2) شرح الرسالة الأرسلانية.

فأجبتهم بما يصلح عقيدة المحب، لأذى الانتقاد، فإن معه لا يفيد جواب، ولا بيان مراد، سيما المنكرين على الطائفة كالزادلية، أرباب العناد.

وشرعت بعد ذهابهم في تأليف رسالة سميتها (العيان المغني عن التهذيب في بيان سنى أحوال المجاذيب[1]).. ونمت قيلولة يوم الأربعاء، وفي يوم الخميس ختم الرسالة الأرسلانية صديقنا الشيخ حسن... وختم فيه الشيخ محمد رسالة الغوثية.

وفي يوم الجمعة دعينا إلى ذلك الجانب ووافتنا دواعي الصفا من كل جانب، وبتنا مع أصدقائنا عند صديقنا طاهر ابن الحاج حسن التكريتي، وكنا جماعة، فعملنا ذكراً وحصل حظ أولاً وثانياً وسررت بمبيتي وقرأنا سحراً ورد السحر... وكنا جفونا المنام... فعدت مسرعاً للأخ الأمجد ونمت إلى قبيل الظهر ولذ لي المرقد، ثم بت عنده وفي ليلة الاثنين بتُّ عند الحاج بدر منحه الله رفقته كرفقة البدر، وعدت صباحاً إلى دار الأخ الأول، وبعد العصر خرجنا إلى البر، وكنا دعينا إلى دار صديقنا خليل.

عجائب أرض السمسمة[2]

وكنا قرأنا لأصدقائنا الباب الثامن من الفتوحات، الذي عقد الشيخ (رضي الله عنه) في بيان عجائب أرض السمسمة، وتسمى أرض الحقيقة وهي الأرض التي ظهرت فيها عظمة الله تعالى، وقد ألف فيها الشيخ كتاباً حافلاً... ثم قرأت لهم فصلاً من كتاب الحج ذكر فيه الشيخ رضي الله عنه، ما وقع بينه وبين الكعبة من معاتبات ومخاطبات...

وفي صباح يوم الأربعاء، بعد أن نمت ونبهت من منامي، أخبرت أن المراكب

---

(1) كتاب ثالث كتبه صاحب الرحلة في بغداد.

(2) السمسمة: معرفة تدق عن العبارة، القاشاني: لطائف الأعلام ص 255 والتعريفات للشريف الجرجاني ص 70، وأضاف كلمة (والبيان) للتعريف السابق، واصطلاحات ابن عربي ص 148، والمعنى العام أن أرض السمسمة هي المعرفة والحقيقة التي لا يمكن التعبير عنها باللغة.

همت على المسير، فودعت الأحباب، وأتيت الخلوة... ولحقني... الحاج بدر وأخذني لدار ابن عمه...

إجازة للشيخ عبد الكريم ابن الشيخ محمد الرحبي

وورد قبيل عصر يوم الخميس صديقنا، الذي يحسن الأخلاق والاعتقاد حُبي، الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ محمد، وطلب من الفقير الإجازة بكتب شيخنا الهمام، الشيخ عبد الغني[1] [بن إسماعيل النابلسي] المقدم وغيرها فأجبته لذلك.

مرقد أحمد بن حنبل[2]

وبتنا في دار الداعي... وعزمنا إلى السير إلى جهة الإمام أحمد بن حنبل... فإن الدجلة استولت على مرقده من محبتها فيه، وأنا أرجو أن يسعى بعض الناس في إظهار خافيته.

قلعة بغداد[3]

وفي يوم الخميس ذهبنا... إلى زيارة الإمام الأعظم، ومررنا في الطريق على القلعة فدخلناها، وقرأنا الفاتحة لمن حلها من أولي المقام الأفخم، وكنا دُعينا للعشاء في الميدان عند مسجد الكازروني[4].

---

(1) الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي من كبار مشايخ الشام الصوفية، هو شيخ صاحب الرحلة وهذه الإجازة المشار إليها، إجازة تختلف عن سابقاتها لأنها متخصصة في رواية مؤلفات النابلسي.

(2) ذكر أنه عبر إلى جهة الإمام أحمد إشارة إلى وجوده في الجانب الغربي من بغداد، وأثناء وجوده ببغداد (جمادى الأخير 1139 هـ) يكون القبر قد استولى عليه الماء وشاهد ذلك بعينيه، ورفاته نقل فيما بعد إلى أحد جوامع بغداد.

(3) القلعة: قلعة بغداد القديمة وتسمى اليوم وزارة الدفاع.

(4) إشارة مهمة في تحديد مكان مسجد الكازروني في الميدان الواقع قرب القلعة قريباً من ساحة الميدان اليوم.

الشيخ عبد اللطيف[1]

فسرنا قاصدين الإمام (الأعظم) فدعانا الشيخ عبد اللطيف الإمام، وأكرمنا غاية الإكرام، ومشى أمامنا للزيارة الأعظمية، والشبلية، والبشرية.. والنورية. ومررنا قبلها على طبل حسن المجذوب، وطلب منه الأخ قراءة فاتحة سناها مخطوب، وزرنا من عنده ثانية، وصافحناه ومضينا للزيارة النورية، وأقمنا في المسجد إلى أن صلينا المغرب وسرنا بقلب "واع"، واجتمعنا بالشيخ علي أبي طبيخة المصري، الآتي من البصرة للزيارة على الفتح والنصر، ثم عدنا للخلوة ذات الجلوة وبتنا بليلة.

الشيخ عبد الرزاق شيخ الحلقة القادرية[2]

وصلينا الجمعة وحضرنا الذكر في الحضرة المنيرة، وصلينا العصر، وحصل لنا حظ كبير بالسماع... وكنا دُعينا إلى منزل خطيب الشيخ... وكان الداعي على لسان المشار إليه الشيخ عبد الرزاق شيخ حلقة الشيخ، أحسن الله إليه وأنعم عليه.

الشيخ محمد الكردي

وجاءني صديقنا الشيخ محمد الكردي بشرح على المنفرجة تأليف الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي يزيد عبد الرحمن النقاوسي الأصل البجاي المنشأ...

وتذاكرنا معه في هذا المحل، حتى المشكل منه المحل... وشرح آخر للشيخ صالح بن محمد بن عبد الله العدساني العقيلي.

وبتنا ليلة الثلاثاء عند سيدي داود... وورد صديقنا الشيخ حسن ورفيقه الشيخ محمد الكردي... وقرأ درساً في شرح مختصر (الفصوص)[3]، وكان بدأ به يوم

---

(1) عبد اللطيف الإمام، إمام جامع أبي حنيفة، لم تكشف عنه الوثائق، وهناك عبد اللطيف المتولي الذي صار أيضاً إماما وهو غير الأول، لأن الأخير توفي 1260 هـ / 1844 م انظر تاريخ جامع الإمام الأعظم، الشيخ هاشم الأعظمي، ص 58.

(2) شيخ حلقة الذكر القادري في الحضرة القادرية.

(3) الفصوص، فصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي.

الأحد السابق وهذا المختصر للمؤلف وسماه (عيون الفصوص) وشرحه السيد الشريف[1] شرحاً بديعاً قدسياً، عربياً فارسياً.

الشيخ محمد الجمل المجذوب[2]

وأتينا مع الأخ الأمجد ليلة الخميس إلى التكية، ورأينا لما خرجنا من الحضرة الداودية الشيخ محمد الجمل المجذوب للحضرة العلية، ففهمت منه إشارة التوديع، لأني لم أره قبل هذه الكرة، ولم يلتفت إلينا إلا بطرف، وسار لجانب معروف الكرخي.

ليلة المعراج

ولما وردنا الحضرة القادرية وزرنا تلك الروضة الأنورية... رأيت في المنام قائلاً، يأمرني بارتقاء كرسي الوعظ في جامع هذا السيد المقدام لنفع الخاص والعام، فأبديت الأحجام، وارتقيت مع الأخ المذكور، سطح خلوتنا، ولم أرتقه قبل هذه الأيام، وذهبت لتكية الشيخ محمد رفيع... وكانت ليلة المعراج لأنها السابعة والعشرون من شهر رجب الحرام.

التكية المولوية ومرقد الإمام الحارث المحاسبي

ودعانا ليلة السبت الملا محمود لمنزله المعهود فبتنا لديه، فهمعت السحب السماوية أوصل الله إمداده إليه، وسرنا إلى الزيارة المعروفية، فرأينا الجسر مقطوعاً، فقلنا انتظار الفرج عبادة، فعسى أن يتصل بالأحباب المقطوع، وانتظرنا نصبه في التكية المولوية، وجاء للانتظار الصديق الشيخ عثمان النجدي بلغه الله وإياه كل أمنية، ثم لم يتعوق أن نصب، فزال عنا إلى النصب، فبادرنا لزيارة الحارث بن أسد رفيع الحسب رفيع الرتب، ودخلنا

---

(1) يقصد الشريف الجرجاني صاحب التعريفات.

(2) ذكر في هذا الكتاب عدد من مجاذيب بغداد، منهم حسن المجذوب صاحب الطبل في الأعظمية، وهنا الشيخ محمد الجمل قرب قبر داود الطائي، وهؤلاء المجاذيب لهم إشارات خاصة، كما ذكر في النص.

عليه من الباب، للأمر الوارد في محكم الكتاب[1].

(1) النص واضح من أن جسر بغداد يقع عند التكية المولوية التي صارت فيما بعد جامع الآصفية، وفيها قبر الإمام الحارث بن أسد المحاسبي، وقد أشار لذلك العديد من الكتاب، وأن الجسر قطع في ذلك اليوم الممطر، على عادته في مثل هذه الظروف، فاضطروا إلى الدخول للتكية المولوية المجاورة للانتظار، فبادروا إلى زيارة مرقد الإمام المحاسبي فيها، والآن سنستعرض أهم النصوص الواردة عن مرقد الإمام المحاسبي والتكية المولوية.
ما ذكره العلامة محمود شكري الآلوسي في كتابه تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص 55 قال: (جامع الآصفية هو مسجد مبارك من المساجد القديمة في جانب الرصافة، مُطل على دجلة، وجسر بغداد الحاضر، غير أن كر الليالي ومر العشي قد ضعفا منه بنيانه وزلزلا أركانه... وآل أمره إلى الخراب والاندراس... ثم اتخذه المولوية تكية لهم... حتى تداركته همة الوزير الخطير... المرحوم داود باشا أيام ولايته على بغداد، ففل بنيانه وهد أركانه، ثم أحكم قواعده... ورفع جدرانه، وشيد أركانه... وبنى فيه مصلى واسعاً ومقاماً جامعاً... وعليه قبة محكمة البناء... وبنى عند جانبها مئذنتين بالحجر الملون... وجعل فيه مدرستين، وأقام فيه خطيباً وإماماً) وهذا هو جامع الآصفية الذي يقام على أسس التكية المولوية.
ثم أضاف في ص 58 (وداخل هذا المسجد مشهد لبعض صلحاء الأمة... وهو عن شمال الداخل في الرواق، والمرقد في سرب من الأرض، عقد عليه قبة مساوية لأرض المسجد في غاية من الإتقان والرصانة، والصندوق على سطح القبة مسامت للقبر، وقد اشتهر بين الناس، أن الدفين هو العالم الزاهد القدوة العارف بالله، أبو الحارث المحاسبي، وكان بصري الأصل).
ثم أضاف في نفس الصفحة (ومن الشيعة من يقول: إنه الكليني... من أكابر علماء الإمامية وارث أحاديثهم، وكلا القولين لا يصح، ولا سيما الثاني (الكليني) فإنه بعيد جداً... بل الذي يفهم من كلام بعض المؤرخين، أنه قبر أبي جعفر المستنصر بالله، الخليفة العباسي باني المدرسة المستنصرية).

وعلق الدكتور عبد الله الجبوري محقق الكتاب في هامش أسفل الصفحات:

1 - التكية المولوية: وكان يعرف بـ (المولى خانه) نسبة إلى المولوية، وهي من الطرق الصوفية التي تتبع جلال الدين الرومي المتوفي 672 هـ، ويعرف بمولانا جلال الدين.

2 - أول من أشار إلى أن جامع الآصفية كان تكية للمولوية المفتي العلامة محمود الآلوسي المفسر صاحب تفسير روح المعاني وهو جد محمود شكري الآلوسي المذكور.

3 - سمي بالآصفية: نسبة إلى (آصف الزمان) وهو لقب باني الجامع داود باشا والي بغداد.

4 - ورد عبد الله الجبوري على القول من أن دفين هذا الجامع هو الخليفة المستنصر بالله بالقول: أنه دفن في قصر من قصور الخلافة ثم نقل إلى تربة خاصة كان قد أعدها لنفسه في الرصافة قرب مشهد الإمام أبي حنيفة، ونقل عن كتاب الحوادث الجامعة ص 185، أنه دفن =

في الدار المثمنة بدار الخلافة على شاطئ دجلة ثم نقل إلى ترب الخلفاء في الرصافة.

تحقيق الدكتور مصطفى جواد وأحمد سوسة في خطط بغداد:

استبعد الدكتور مصطفى جواد أن يكون الدفين (الكليني) المتوفى 329 هـ لأنه دفن عند باب الكوفة، وهذا الباب يؤدي إلى الكوفة ويقع إلى الكرخ من بغداد، ونحن نتحدث عن الرصافة.

إلا أنه ساق رأيا آخر بأن الدفين هو عز الدين الحسن النيلي مدرس بالمستنصرية كون المرقد قرب المستنصرية.

ردنا عليه: أولا أن عز الدين توفي 721هـ ودفن بدار القرآن، وكان ببغداد العديد من دور القرآن مثل البشيرية والصرصرية بالإضافة إلى المستنصرية، وثانيهما: أن الدكتور مصطفى جواد وأحمد سوسة اقتبسا النص من مخطوطة كُتب فيها:أن عز الدين دفن بدار القرآن، ثم فراغ، فوضعا كلمة (المستنصرية) ويعني أن كلمة مستنصرية لم تكن في أصل المخطوطة، وثالثهما: في هامش كتابهم خطط بغداد قالا: إن المخطوطة التي نقلا عنها كانت مبعثرة الأوراق، وقاما بتوليف ورقتين ليكتمل النص، من ورقة معينة مع ورقة أخرى تبعد عنها 130 ورقة، وهذا توليف غريب بين أوراق غير متسلسلة لذا لا يعول عليه، مما أدى إلى إضعاف الأدلة والحجج التي ساقاها، انظر هامش أسفل صفحة ص 313، أمام الأدلة الواضحة التي سنوردها.

نعود فنقول التكية المولوية (الموله خانة) عمرها محمد جلبي بعد أن كانت دار القرآن التابع للمدرسة المستنصرية، ولحقها الخراب على أثر الاحتلال المغولي، وكان تعميرها بحدود عام 1017 هـ، واتخذوها تكية صوفية لهم وذلك لوجود قبر الإمام الصوفي الحارث بن أسد المحاسبي، وأكد ذلك المؤلف الأصلي لكتاب جامع الأنوار مرتضى نظمي بحدود عام 1134 هـ / 1721 م وأكده مترجم الكتاب عيسى البندنيجي المتوفى 1283 هـ، قال في باب ترجمة الإمام المحاسبي: هذا ومات روح الله روحه ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين. ودفن في الجانب الشرقي منها، في زاوية المولوية التي بناها الوزير... داود باشا جامعاً... وهو مشهور الآن بجامع الآصفية.

وبعد هذا النص الواضح، جاءت هذه الرحلة للصديقي عام 1139 هـ، لتؤكد هذه الحقيقة كون المرقد الموجود في جامع الآصفية للإمام المحاسبي.

بالإضافة، إلى ما ذكره السيد عباس البغدادي في نيل المراد ص 45 قال: أما المسجد المعروف بجامع المولى خانه، واسمه الأصلي جامع الآصفية... وداخله مشهد العارف بالله... الحارث المحاسبي .

وأكد ذلك أيضا وحدد موقعه بقول السيد محمد سعيد الراوي في خير الزاد ص 77: (هو الجامع المطل على الجسر العتيق)، ونكتفي بهذا القدر من التحقيق حول تكية المولوية التي

السيد عبد الله ابن السيد أحمد نجل العيدروس[1]

وبعد الزيارة المعروفية، أخذنا لداره المُحب المحبوب لكل النفوس، السيد عبد الله ابن السيد أحمد نجل العيدروس، ووهبنا شاشاً فحملنا هديته على الرؤوس، ورجعنا بعد وداعه للحضرة الداودية.

الشيخ محمد الخولاني والشيخ عبد الكريم الأهوري[2]

سرنا غير بعيد وزرنا الشيخ محمد الخولاني ثم الشيخ عبد الكريم الأهوري.

السيد علي نقيب الأشراف

وفي يوم الثلاثاء ثاني شعبان المبارك، بعد أن ودعنا صديقنا الأكرم السيد علي الأفخم، شيخ السجادة، ومحل الإفادة وأعطاني مكتوباً إلى الشيخ طاهر خليفة السادة القادرية، في تلك الأماكن والزواهر، والآخر لكتخذا[3] الوالي.

الشيخ محمد بن ناموس

وجئنا إلى باب سيدي سلمان مع صديقنا الملا محمود، والشيخ محمد بن ناموس، وخرج بعض المحبين للوداع، ولما ودعناهم... تعوق الكار[4] إلى الأربعاء، وبتُّ عند الشيخ محمد الناموس وقبيل العصر جاء الشيخ عبد الله العيدروسي فودعنا.

صارت فيما بعد جامع الآصفية وفيها مرقد الإمام الصوفي الحارث بن أسد المحاسبي.

(1) كشف عن الاسم الكامل للسيد عبد الله العيدروسي صاحب التكية ببغداد.

(2) لا نعرف شيئاً عنهما، وذكر المناوي في الكواكب الدرية جـ 3، ص 57: قبور الخولانيين الذين حفروا قبورهم بأيديهم.

(3) (كتخذا) هو مساعد الوالي ومعاونه.

(4) (الكار) واسطة نقل.

ذرية الحسن البصري والطريقة البدرية[1]

وأخذ طريقة البدرية عن المعمر الكامل الشيخ جمعة ابن الشيخ يعقوب ابن الشيخ جمعة وينتهي نسبه إلى الإمام الحسن البصري وبينه وبين الشيخ جمعة من الأجداد سبعة.

فالشيخ جمعة الكبير ابن الشيخ محمد بدر الدين العادلي المكنى بأبي عمر، ابن الشيخ محمود ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن بن الإمام الحسن البصري رضي الله عنه، وقد نقلت هذا النسب من إجازة للشيخ جمعة لتلميذه رفيقنا الدرويش محمد بن أحمد الكردي العمادي[2].

مؤلفات السيد عبد الله الحداد العيدروسي

وهو أحد الرجال الأربعة المتصرفين في جبل عرفات... فسألته من أي زمان أعطي هذا المقام، فقال: من نحو عشرة أعوام وللسيد المذكور تآليف كثيرة منها رسالة (المعاونة والمظاهر والمؤازرة للراغبين من المؤرخين في سلوك طريق الآخر) و(إتحاف السائل بجواب المسائل) و(الحكم الرائقة ذات الأنوار الشارقة) و(النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) و(رسالة المريد المخصوص بالفضل والمزيد) و(الفصول العلمية والأصول الحكيمة) ورسالة (المذاكرة) والفتاوى المسماة (بالنفائس العلوية في المسائل الصوفية) و(الدعوة التامة) و(التذكرة العامة) و(سبيل الأذكار والاعتبار فيما غير بالإنسان من الأعمار) و(الواردات الربانية) و(ديوان المكاتبات والوصايا) وغير ذلك من التآليف النافعة للسالك في هذه المسالك.

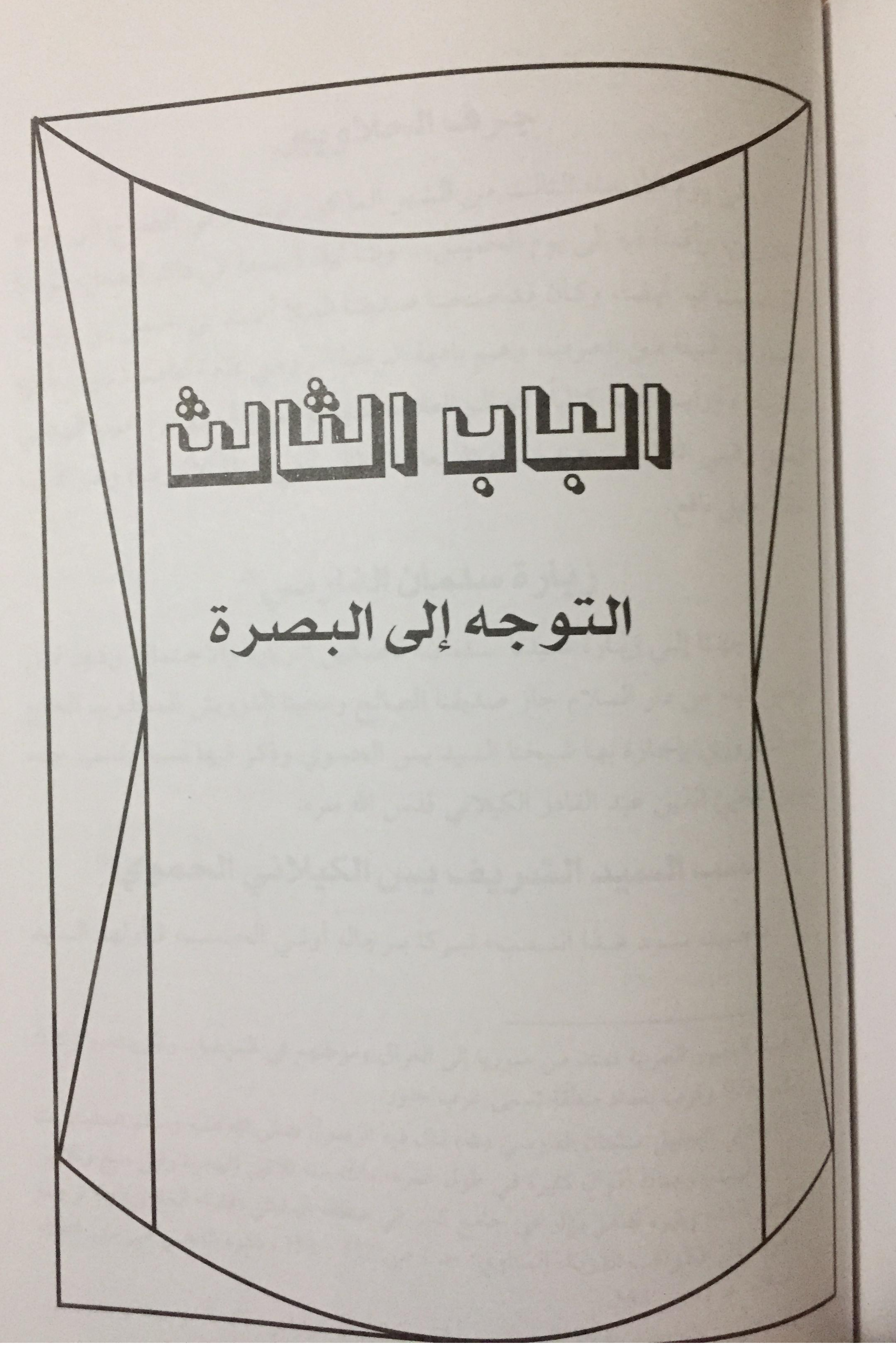
---

(1) السادة الصوفية: تسمى الطريقة المأخوذة عن الإمام الحسن البصري بالبدرية، لأنه أدرك سبعين بدرياً، والعيدروسية لديهم سند بهذه الطريقة.

(2) الإجازة البدرية عند الشيخ محمد بن أحمد الكردي العمادي أيضاً.

الباب الثالث

التوجه إلى البصرة



جرف الحلاويين

وفي يوم الأربعاء الثالث من الشهر المذكور توجهنا في الصباح إلى جرف الحلاويين، وأقمنا فيه إلى يوم الخميس... وبتنا ليلة الجمعة في ذلك المحل، ثم بتنا ليلة السبت فيه أيضاً، وكان قد صحبنا صديقنا الملا أحمد بن حسين بن عساف الجبوري، قبيلة من العرب، وهم بادية الرحبة[1]، وهي قلعة عاصرة بين حلب ودياربكر، ورأيت معه كتاباً، للعالم العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي المكي رضي الله تعالى عنه سماه (إسعاف الطالب في صلة الأقارب) وهو كتاب حافل جليل نافع.

زيارة سلمان الفارسي[2]

توجهنا إلى زيارة سيدنا سلمان، قاصدين الزيارة والاجتماع، وكان قبل الرحيل بأيام من دار السلام جاز صديقنا الصالح ومحبنا الدرويش المجذوب الحاج آدم التكروري بإجازة بها شيخنا السيد يس الحموي وذكر فيها نسبه ونسب جده سيدي محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله سره.

نسب السيد الشريف يس الكيلاني الحموي[3]

فأجبت سرد هذا النسب، تبركاً برجاله أولي الحسب، فأولهم السيد

---

(1) قبيلة الجبور العربية تمتد من سوريا إلى العراق وموطنهم في الموصل، وتكريت، وكركوك إلى بغداد وقرب بغداد منطقة تسمى عرب جبور.

(2) الصحابي الجليل سلمان الفارسي (ﷺ) قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمانُ منا أهل البيت) وهناك أقوال كثيرة في طول عمره، مات سنة ثلاثين للهجرة وقيل سبع وثلاثين وغير ذلك، وقبره ظاهر يزار في جامع كبير في منطقة المدائن (قضاء المدائن) وله ترجمة طويلة في الكواكب الدرية، المناوي: جـ 1 ص 153 - 158 وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: جـ 1، ص 555.

(3) السيد يس الكيلاني نقيب أشراف حماه وحمص وطرابلس، ذكرنا ترجمته وعائلته مع مشجراتهم النسبية في كتابنا تاريخ النقباء، ص 216.

الشريف الشيخ يس ابن السيد عبد الرزاق ابن الشيخ شرف الدين أحمد ابن الشيخ علي الهاشمي ابن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين قاسم ابن الشيخ جمال الدين يحيى ابن الشيخ نور الدين حسين ابن الشيخ علاء الدين علي ابن الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ سيف الدين يحيى ابن الشيخ ظهير الدين أحمد ابن الشيخ أبي النصر محمد ابن الشيخ نصر قاضي القضاة ابن الشيخ أبي بكر عبد الرزاق ابن الأستاذ الأعظم والملا الأفخم محيي الدين عبد القادر الحسني.

إيوان كسرى[1]

وقسنا عرض الإيوان فإذا هو سبعة عشر ذراعاً، وطول حائطه الشمالي ثلاثون ذراعاً، وطول في الهوا يقارب عشرين ذراعاً.

مرقد سلمان الفارسي

وتعدينا إلى مرقد الإمام الهمام سيدي سلمان الفارسي المقدام، وجلسنا عنده هنية يسيرة.

مرقد حذيفة بن اليمان[2]

ثم عطفنا على الإيوان، وسرنا إلى زيارة سيدي حذيفة بن اليمان، صاحب سر سيد ولد عدنان، وتوسلنا بجاهه إلى الله، وكذلك زرنا خادمه الشيخ عبد الله.

---

(1) بقايا قصر كسرى، إيوان كسرى يقع في المدائن (قضاء المدائن).

(2) هو حذيفة بن اليمان العبسي (رضي الله عنه) من الصحابة الكرام، جعله النبي صلى الله عليه وسلم، أمين سره، فتح همذان والري والدينور، مات بعد بيعة علي بن أبي طالب (ﷺ) حلية الأولياء: ج 1 / 270 وسير أعلام النبلاء: ج 2 / 361.

مرقد الشيخ علي ابن الهيتي[1]

ثم قرأنا الفاتحة للعالم العامل سيدي علي ابن الهيتي الرباني، لما قابلناه على البُعد من الشط الثاني، وهو أحد من يُقال فيه أنه يبرئ الأكمه والأبرص، ففي (البهجة القادرية) كان الشيخ عبد القادر، والشيخ بقاء بن بطو والشيخ أبو سعيد القيلوي والشيخ علي ابن الهيتي الأربعة يبرؤن الأكمة والأبرص[2].

---

(1) الشيخ علي ابن الهيتي: ترجمه الشطنوفي في (بهجة الأسرار)ص 289، وهي (البهجة القادرية) الواردة في النص أعلاه، من أقرب المقربين إلى سيدنا عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره)، قال عنه الشطنوفي (أحد أركان هذه الطريقة وأعلام علمائها، وصدور سادتها، ورؤساء القادة إليها علماً وعملاً وحالاً وزهداً وتحقيقاً) وأكثر أخباره ترد في مدينة زريران، قال الشطنوفي (سكن رضي الله عنه زريران، بلدة من أعمال الملك إلى أن مات بها في سنة أربعة وستين وخمسمائة، وقد علت سنه مائة وعشرين سنة وبها دفن وقبره بها ظاهر يزار).

وجاء في وقفية زين الدين الكيلاني عام 978 هـ، (ومن الأملاك التي ما هو حقه وملكه بلا مانع وفي يده وتعرفه بلا منازع وذلك جميع أراضي ومزارع هور ختيمية الواقع في أراضي المدائن شرقي مدينة بغداد بحدود الأربع، الحد الأول: نهر الملك، الحد الثاني خرابة نبي الله شيت عليه السلام وتل الذهب، والحد الثالث خرابه الشيخ علي الهيتي قدس سره، وزر العصافير، والحد الرابع تل عمر، ومن تل عمر إلى الروفة المعروفة المشهورة بروفة المنتر، والروفة المذكورة تتم إلى تل بعاج الواقع في أراضي المدائن) ورقة 141 المختصر في تاريخ شيخ الإسلام سيدنا عبد القادر الكيلاني وأولاده مخطوطة للمرحوم إبراهيم الدروبي.

(2) ومن هذا النص الصريح فإن زريران تقع عند نهر الملك التي استمر اسمها كذلك من العهد العباسي إلى 978 هـ، وأن قبر علي ابن الهيتي في زريران، ومن نص هذه الرحلة يمكن تحديد زريران وموقع المرقد، بقول الرحالة مصطفى الصديقي، أنه شاهد مرقده، (لما قابلناه على البُعد من الشط الثاني) فهو أولاً كان عند مرقد سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما)، ثم شاهد المرقد، مرقد علي ابن الهيتي على الجانب الثاني من الشط مقابله، وبهذا تم تحديد موضع القبر، ويبدو أن هناك من قام بتعميره، لأن سابقه زين الدين الكيلاني ذكر في وقفيته خرابة الشيخ علي ابن الهيتي، بما يمكن تفسيره، بأن المرقد لحقه خراب خلال هذه الفترة نهاية القرن العاشر الهجري، بينما في القرن الثاني عشر الهجري 1139 هـ لم يشر إلى هذا الوصف لدى رؤيته للمرقد.

ومن كل ذلك فإن موقع مرقد الشيخ علي ابن الهيتي، في الجانب الثاني من الشط مقابل مرقد حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل (ﷺ)، ولهذا أهميته كونه من أكابر شيوخ التصوف.

تاج العارفين أبو الوفا[1]

ثم في يوم الاثنين مررنا على سيدي تاج العارفين أبي الوفا فقرأنا له الفاتحة، وسألنا الله تعالى أن ينيلنا بجاهه الصفاء ويمنحنا الوفا.

إلى أن وصلنا القطينة وبتنا فيها راجين الأمنية، وقد رأيت الإمام العلامة والهمام الفهامة محمد البادرائي[2]، معمر المدر عند البادرائية، في دمشق المحمية، كتاباً حافلاً في مناقب الأستاذ تاج العارفين وسراج الفارقين والغارقين، ولغيره من معاصره آخر في مناقب المذكور، وذكر فيهما من أحواله ومآثره الفاخرة، ما يدل على رفعة مقامه، دنيا وآخرة، وله كلام عالٍ في الطريق، ينبئ عن رسوخ قدمه في التحقيق، وهو أحد أشياخ الباز الأشهب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سرهما[3]: وقلت في مدحه ساعة:

أيا تاج العارفين أغث شبحا | على البعد قد زار الضريح المشرفا

زيارة مراقد

ثم سرنا صباح يوم الثلاثاء، وقد علا الماء أذرعاً أو ثلاثة، غير أن الريح الشمالي والسفن إلى البر، فلم يدعها تسير إلا بيسير.

---

(1) الشيخ تاج العارفين أبو الوفا: قيل هو أول من سمي تاج العارفين بالعراق، وذكر أنه من الأقطاب وذكره الشطنوفي في بهجة الأسرار ص 272 قال: سكن قلمينيا، قرية من قرى العراق، استوطنها إلى أن توفي بها بعد سنة خمسمائة وقد تجاوز الثمانين، وكانت له زاوية فيها، قيل: مر قبل وفاته بشجرة بالقرب من زاويته، فوضع يده عليها فقال: بؤس ودؤس، فلما مات قطعت تلك الشجرة وجعل فيها ضريح له، وعتبة لباب تربته، وكانت له مسبحة أعطاها للشيخ عبد القادر، ولدى وفاة الأخير وجدت عنده، أخذها بعده الشيخ علي ابن الهيتي وأخذها بعده الشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ قائد.
ولتحديد مرقد الشيخ تاج العارفين، فإن الرحالة الشيخ مصطفى غادر المدائن منحدراً باتجاه البصرة، يكون في هذا الوقت تقديراً، في واسط.

(2) ألف الشيخ محمد البادرائي كتابا في مناقب الشيخ تاج العارفين أبي الوفا وغيره.

(3) التقاه سيدنا عبد القادر الكيلاني وكان يجله ويحترمه كثيراً.

وبت ليلة الأربعاء في جرف زاوية للزرع، وقمنا إلى الصلاة وقد طغى عليه الماء[1] ثم سرنا إلى أن واجهنا هميان بن علي المرتقى[2]..

فقرأنا له رضي الله عنه الفاتحة، وتوسلنا بجاهه إلى الله أن يمنحنا الإمدادات التي للأبواب فاتحة.

ثم جزنا على النبي العزير[3] فقرأنا له الفاتحة... وبتنا قريباً من أبي الغزلان... وسرنا وزرنا الشيخ جنيد[4] من بعيد ثم بتنا عند العمارة[5] ليلة الجمعة وعدلنا طريق سالكين شط السابلة... ولما قابلنا سيدي منصور أبا الحسن، قرأنا له الفاتحة... إلى أن وصلنا... إلى قرية الحي... وزرنا مقام سيدي محمد أبي الحسن قدس الله سره... وبتنا ليلة بفناء الحي... وسرنا في الصباح بمعونة الله تعالى الفتاح، فتجارى إلى واسط وكنا زرنا قبل الوصول... سيدي مويس العقار نجل صاحب ذي الفقار... وسرنا منه ضحوة صغرى... فرأينا مقامين للعباس والخضر، فقرأنا لهما فاتحتين عليهما... حتى وصلنا بعيد الظهر بيسير إلى أبي الريش، ثم سرنا منه إلى الحمار[6]... ومنها إلى البصرة.

جامع الشيخ حبيب الله

أتينا إلى جامع الشيخ حبيب الله أحد الأعلام الفائزين، بالتقريب من الله ونزلنا عند من ينسبهُ ذو القلب الطاهر بالشيخ محمد الطاهر، نجل الشيخ عبد الكريم، القادري المشرب.

---

(1) المعنى أن الماء كان يزيد بالساعات.

(2) لم نفهم تماماً ما المقصود بذلك.

(3) لعلها (العزير) في أصل المخطوطة إرباك (عن أبي عزير).

(4) ذكر ابن الدُّبيثي: الجنيد بن عبد الرحمن الجنيد أبو طالب الصوفي: جـ 3، ص 67، وهذا حج سنة تسع وتسعين وأربع مئة وعاد فحدث بعد عودته بالحلة المزيدية، وهو قريب من المكان المشار إليه، وذكر الجنيد بن إسماعيل أبا نصر من بلاد أذربيجان قدم بغداد حاجاً سنة ست وست مئة وقال ابن الدبيثي (لقيته) ولعله لم يدرك وفاته: جـ 3، ص 68، والله أعلم.

(5) العمارة ليس مدينة العمارة، يقصد منطقة عامرة مأهولة.

(6) لعله يقصد (هور الحمار).

الشيخ محمد بن أيوب

وجاءنا بعد العصر الصديق المحبوب، الشيخ محمد بن أيوب وبتنا في سطح الدار، وسار لوداع الشيخ أحمد المفتي رب المنزل... وجاءنا في الصباح الشيخ حسين البصير... وكان الشيخ الأريب إمام الجامع والخطيب، جاء إليّ بكتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب[1].

المدرسة الرحمانية في البصرة

ثم انتقلنا إلى المدرسة الرحمانية، ضحوة نهار يوم الاثنين، ونزلنا في الخلوة المعدة للتدريب، وجاءنا صديقنا الشيخ محمد بن أيوب، وذكر لنا أنه أخذ طريقة النقشبندية... على شيخه الكامل من أحد الأفراد الشيخ محمد بن أحمد، وجلس في صحبته خمس عشرة سنة... وأنه شطر وخمس قصيدة الإمام أبي مدين الغوث الأوحد، وخمس خمرية ابن الفارض، ولامية البوصيري... وأنه ألف صلوات نبوية على حروف المعجم، وسماها صلوات الحائر الولهان محمد بن أيوب الكامل في العجز والنقصان[2]... ثم أوقفني على مسودات قصائد كثيرة يتكلم فيها على لسان أهل الإشارة والأذواق الخطيرة، وبتنا في الخلوة الحلوة.

وقد دعانا أخو صديقنا الملا محمود، الملا أحمد كاتب عند الكتخذا... فذهبنا قبل الظهر إلى داره.

العلامة إبراهيم بن حسين الكردي الكوراني[3]

وجاء قبيل العصر، الناثر الناظم الفاضل الكامل، الملا كاظم مدرس المدرسة

---

(1) عمدة الطالب، لابن عنبة والكتاب مطبوع ومنشور، وبعض طباعاته فيها تحريف.

(2) مجموعة مؤلفات للشيخ محمد بن أيوب، مهمة في إحصاء المؤلفات في هذه الفترة المبهمة.

(3) أصدر الدكتور عماد عبد السلام كتابا عن العلامة إبراهيم الكوراني الشهرزوري المتوفى 1101 هـ / 1689 م، ذكر فيه مؤلفاته ص 80 والتي وصل بها إلى (117) كتابا ورسالة.

الرحمانية، وأوقفني على مجموعة فيها ثلاث رسائل، تأليف الإمام الأوحد، حاوي الفضيلة العارف المحقق سيدي إبراهيم بن حسين الكردي الكوراني الشهرزوري ثم الشهراني ثم المدني قدس الله روحه، الأولى (تنبيه العقول على تنزيه الصوفية عن اعتقاد التجسيم والعينية والاتحاد والحلول) والثانية (رسالة مطلع الجود في الكلام على الوجود)، والثالثة (شرح التحفة المرسلة) المسمى (إتحاف الذكي بشرح التحفة المرسلة إلى النبي)، وللمؤلف المذكور تآليف كثيرة.

ولد رضي الله عنه في شوال في سنة خمس وعشرين وألف وتوفي سنة واحد ومائة وألف، ودفن بالبقيع، وله مشايخ كثيرون من أجلهم شيخه سيدي أحمد صفي الدين ابن محمد بن يونس بن أحمد المقدسي الدجاني ثم المدني الأنصاري المعروف بالقشاشي صاحب التصانيف الفائقة[1].

القشاشي والشناوي والبروجي[2]

والقشاشي، ولد رضي الله عنه سنة تسعمائة وإحدى وتسعين وتوفي سنة ألف وإحدى وسبعين ودفن بالبقيع وهو تلميذ الشيخ أجيلة بن أحمد بن عبد القدوس القرشي العباسي ثم المدني ولد رضي الله عنه سنة تسعمائة وخمس وسبعين وتوفي سنة ألف وثمانية وعشرين، وهو تلميذ السيد صبغة الله بن روح الله بن جمال الله الحسيني الهندي البروجي ثم المدني ووفاة الشيخ صبغة الله سنة ألف وخمسة عشر بالمدينة، ودفن بالبقيع وهو تلميذ الشيخ وجيه الدين ابن القاضي نصر الله العلوي الهندي الأحمد أبادي، ولد 910 هـ ووفاته 998 هـ.

---

(1) الشيخ إبراهيم الكوراني استمر يراسل القشاشي أربع سنوات، وفي الآخر طلب منه القدوم إلى المدينة المنورة حيث كان يقيم القشاشي. ص 29، د.عماد عبد السلام، إبراهيم الكوراني.

(2) وردت سرة هؤلاء الأعلام الكبار في مخطوطة الأعيان الخيار في أسلاف الرجال، لمحمد أسعد بن هاشم الطيار ورقة 4.

زيارة العباس رضي الله عنه[1]

وزرت في الذهاب والإياب سيدي العباس نجل أمير المؤمنين علي، طيب الأنفاس.

موسى باشا

واجتمعت بالقطب، موسى باشا فعاملنا بالإكرام بلغ من الخير ما شاء، وبعد أن صلينا عنده الظهر والعصر، عدنا إلى الخلوة.

الشيخ محمد العبيدي والشيخ محمد المنتفقي

وقد أوقفني... محمد بن إسماعيل بن حسان العبيدلي الشافعي على رسالة لشيخه الصالح... الشيخ محمد بن صالح بن محمد المنتفقي[2]، نسبة لقبيلة، سماها (مبرئة الأعراض المبرورة المشرفة عن نسبة الأقوال المهجورة المزيفة)[3].

الشيخ علي البصير شيخ القراء

وأتاني الشيخ علي جامع الكواز[4]، برسائل شيخه الشيخ علي البصير شيخ

---

(1) العباس بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما): ويكنى أبا الفضل، كان وسيماً جميلاً، يركب الفرس ورجلاه تخطان في الأرض، ويقال له (قمر بني هاشم)، حمل الراية في القتال، وقتل مع الحسين رحمهما الله تعالى، انظر أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص 89 - 90 مرقده غير بعيد عن أخيه في كربلاء، ظاهر يزار.

(2) المنتفقي، نسبة إلى مكان وليس لقبيلة، وهو لواء المنتفك، ويشمل هذا اللواء مناطق الشيوخ والحي والناصرية وشطرة المنتفك، انظر وثائق عثمانية، مصطفى المدامغة.

(3) رسالة من مؤلفات الشيخ محمد بن صالح المنتفقي (المنتفكي).

(4) جامع الكواز في البصرة أنشئ من قبل الشيخ ساري آل عبد السلام العباسي بحدود سنة 920 هـ / 1514 م، ودفن فيه الشيخ محمد أمين الكواز الصوفي الشاذلي سنة (953 هـ) وهذا الجامع من اختصاص عائلة آل باش أعيان العباسية وفيه مدافنهم، وجدده الشيخ عبد السلام الثاني توفي 1035 هـ / 1625 م، وعمل قبة على مرقد الشيخ محمد أمين الكواز، وجدده عام 1140 هـ / 1727 الشيخ أنس باش أعيان، وهؤلاء جميعاً من أسرة واحدة ولازال الجامع قائما في البصرة، انظر: خالد خليل: صيانة جامع الكواز في البصرة، مجلة سومر، العدد 36 لسنة 1980.

القراء، أحدها رسالة (في صفات الحروف) وأخرى سماها (مفتاح الطالبين) ومنظومة تجويد الفاتحة.

الشيخ يونس مفتي بغداد[1]

والشيخ ناصر مفتي البصرة

وقد ورد المفتيان الشيخ يونس مفتي بغداد والشيخ ناصر مفتي البصرة، أحد الأمجاد، ودعانا لداره وقابلنا بإكرامه في جواره وعدنا إلى المحل عقب الضيافة.

زيارة طلحة والزبير

وفي صبيحة يوم الأحد الحادي عشر من شوال المبارك، قصدنا زيارة الإمامين العظيمين المبشرين بالجنة، جناب سيدي طلحة الخير[2]، والزبير بن العوام[3]... صحبة صديقنا الشيخ محمد بن أيوب وسميه ابن ناموس.

أسماء ذات النطاقين[4]

وركبنا متون الخيل مجدين لزيارة... أسماء ذات النطاقين.

---

(1) ذكر اسم مفتي بغداد والبصرة في هذه المرحلة المبهمة، وتعد إشارة مهمة في بابها.

(2) طلحة بن عبيد الله بن عمرو القرشي التيمي (ﷺ)، أحد العشرة المبشرة بالجنة، شهد معركة أُحد والخندق، ومرقده بالبصرة على طريق قضاء الزبير، وفي 1011 هـ قام الشيخ عبد السلام العباسي ببناء قبة عليه، وتم تجديد الضريح ووسع في التسعينات، حلية الأولياء: 89/1، موسوعة تاريخ البصرة جـ 1 / 351، توفي سنة ست وثلاثين للهجرة.

(3) الزبير بن العوام بن خُويلد (ﷺ) حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، هاجر إلى الحبشة والمدينة وشهد بدراً، قتل بوادي السباع قرب البصرة سنة ست وثلاثين للهجرة، وقبره ظاهر يزار حلية الأولياء جـ 1 / 90، وحدد موقع القبر ناصر النقشبندي، البصرة القديمة: سومر مجلد 36 / 1980.

(4) أسماء بنت الصديق أبي بكر (رضي الله عنهما) شقت نطاقها للرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في خروجهما إلى المدينة المنورة، عابدة زاهدة، حلية الأولياء جـ 2، ص 51 - 52.

الحسن البصري وابن سيرين

ثم بعد أن صلينا العصر، توجهنا إلى زيارة الإمامين الأمجدين الكاملين سيدي الحسن البصري، وسيدي محمد بن سيرين، الأوحدين.

سهل بن عبد الله التستري[1]

أراني صديقنا الأيوبي ضريحاً مهاباً تفتق أنواره، رتق جيوبي، وقال إنه مرقد الإمام الأفخم، ذي الفيض الطري، سيدي سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره، وهو أحد أئمة القوم الأعلام، فقرأت له الفاتحة.

الزيارة

ثم تقدمنا إلى عتبة شيخ الشيوخ، ورئيس التابعين، أولي الشموخ، سيدي الحسن البصري، وضجيعه سيدي ابن سيرين، فرد من أهل الرسوخ ولد الأول سنة 21 هـ وتوفي سنة 110 هـ، والثاني ولد سنة 34 هـ تقريباً وتوفي 110 هـ.

الشيخ محمد بن مانع المنتفقي[2]

لقد خرجت إلى السراجي، صحبة صديقنا الشيخ خليل نجل الكواز، بقصد

---

(1) سهل التستري، أحد أركان التصوف وله مصنفات، اشتهر بعلوم الإخلاص وعيوب الأفعال توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة، طبقات الصوفية للسلمي: ص 206.

(2) البصرة عام 1139 هـ في ظروف غامضة، والسراجي التي خرجوا إليها تقع إلى جنوب البصرة، وقوله الاجتماع (بشيخ بر البصرة) يعني حاكم ما يحيط بالبصرة، والشيخ محمد بن مانع شيخ مشايخ المنتفك وأميرها وهو يدلي بهذه الأخبار النادرة، عن كون هذا الشيخ له أوراد وأذكار يقيم عليها، تختلف عن شخصيته في كتب التاريخ الأخرى، وجاء في تاريخ العراق بين احتلالين أنه سنة 1138 هـ / 1725 (أن محمد بن مانع أمير المنتفق عصى في هذه السنة) والحقيقة من النص أعلاه فإن عصيانه امتد إلى هذا العام أيضاً 1139 هـ، ج 5، ص 216 عباس العزاوي.

(انظر) الدكتور عماد عبد السلام: الأسر الحاكمة ص 400 هناك فراغ في هذه السنة بالذات فيمن حكم البصرة، وورد في الرحلة أنه اجتمع مع موسى باشا دون أن يصرح كونه الوالي، وذهابه إلى أمير المنتفك (لأنه مطاع ذلك القطر) بما يوحي أنه الحاكم الفعلي.

الاجتماع، بشيخ بر البصرة، محمد بن مانع المنتفقي، فأكرم وأعز أي إعزاز، ورأيت عنده سعة بطان[1] بأجلاف العرب الفظاظ، وكان الداعي إلى الخروج طلب السير معنا، في السفر، لأنه مطاع ذلك القطر، لما جاء به من الظفر، وأُخبرت أن له أوراداً وأذكاراً.

فطلب صديقنا المذكور أن نهديه ورد السحر، ليزداد أذكاراً فأرسلته معداً، فانحط به لما وقف عليه[2].

وكتبت له إجازة فيه... وقد طلب أخذ العهد منا، والانتساب إلى الطريق الموصل للمنى، الملا موسى ابن الحاج قاسم الخفاري، ثم البصري فأجبناه وأجزناه، كذلك الشيخ محمد بن جمعة النعماني فأدرجناه... وطلب الشاب الصالح محمد سعيد نجل الشيخ إجازة، بعدما كتب كروم عريش التهاني واللمحات الابتهالية، فأجزته، وكتبت له بما يجوز لي وعني روايته وإجازته.

---

(1) سعة بطان: أراد القول له خبرة في التعامل مع القبائل والعشائر.

(2) هذه الاشاره مهمة في دراسة شخصية شيخ بر البصرة وأمير المنتفك الشيخ محمد بن مانع المنتفكي. فتطالعنا هنا شخصية علما أنه رجل متدين له أوراد وأذكار. وهو عكس ما صورته لنا الأخبار عنه كونه محارب وشيخ قبيلة فقط.

الباب الرابع

العودة من البصرة
إلى بغداد

التوجه إلى الحلة

ولقد هممنا على التوجه إلى الحلة في اشكبناوية متوجهة إلى تلك الأطلة، فاستأذنا الوزير الأفخم فأذن وتوجهنا بعدما كرم وأرسل معنا كتاباً لجانب شيخنا العلامة العمدة الفهامة، الشيخ عبد الغني النابلسي فسح الله في أجله، وأصحبنا بعض هدية لجنابه رجاء دعائه ونيل اقترابه، ثم إنا ودعناه وكتخذاه وتوجهنا بعدما ودعنا الأحباب والأصحاب، إلى مقام علي (رضي الله عنه) فرد الأقطاب.

في الطريق

وذلك يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة الحرام... وفي صبيحة يوم الجمعة توجهنا على بركة الله تعالى آمين.. وكان قد أوقفني الأخ في الله تعالى الشيخ محمد بن جمعة النعماني على صلوات العارف الرباني، أحمد بن زين أحمد بن محمد الجنتي باعلوي، مرتبة على أيام الجمعة[1]، وطلب.. أن أعمل له مثالها فأجبته، وأحببت أن أسلك مسلكاً على غير منوالها، وسميتها (الذخيرة الماحية الآثام في الصلاة على خير الأنام في سائر الأيام)[2]، ولما شرعت فيها وصلت إلى يوم الأحد[3].

وتوجهنا مسافرين إلى الحلة، وبتنا بعدما تجاوزنا الخان مستمدين من الفرد الأحد، وسرنا غسق يوم السبت مع المد، ونحن في صحبة أحد أتباع الوزير، رجب آغا، في زمن حكومة علي باشا نائياً[4] عن ابن أخيه أحمد باشا.. ثم إنا سرنا إلى

---

(1) وتسمى أوراد الأسبوع، وهي ورد لكل يوم من أيام الأسبوع.

(2) كتاب آخر شرع صاحب الرحلة الشيخ الصديقي بتأليفه في العراق، وهي تعطي صورة عن غزارة تأليفه وهو في رحلة فيها صعاب ومشاق وقتئذ.

(3) أي إلى ورد يوم الأحد.

(4) (نائياً) أي بعيداً ، وربما جرى التحريف، وتحتمل أن تكون (نائباً عن).

مقابلة نهر عمر، وهناك نزل محمد المانع، فنزل ونزلنا معه لأخذ ورقة تسيارة[1]، حذراً من معارض ممانع، وسرنا فأرسينا غير بعيد، وفي الصباح توجهنا إلى القرية ذات السور الحصين الشديد، توجهنا والرجال، تجرنا الشبكناوية جراً، إلى أن بتنا عند نهر صالح ومنه إلى المنصورية وبتنا هناك.

سرنا صباحاً إلى نحو الكوت[2]. وبتنا قريباً من جماعة صالح الصالح.. وسرنا يوم الجمعة إلى أم العباس فزرنا وولدها قريباً منها إلى البرية التي قصدناها فقرأنا لهما الفاتحة.. وسألنا أهل القرية.. فأخبرونا أنه ولد سيدي علي بن أبي طالب ذي المراتب الرفيعة، وأضافنا بعض أهاليها، لصحبتهم مع رجب آغا.. ولما وصلنا العصفورية أقمنا بها إلى الصباح.. وسرنا إلى العرجا.. وبتنا قريباً من الشخار، ولم نتقدم، وهذه البقاع هوامها كثيرة.

وسرنا يوم الأحد العاشر من هذا السفر.. إلى أن وصلنا نهر السايح، الذي ماؤه على وجه الأرض منحدر غير سائح، وبتنا على الشط. وكنا بتنا في الصحراء ليلة واتبعناها بأخرى، وضممنا لها ثالثة.. حتى وصلنا السماوة.. وأقمنا بها يوماً ما به راحة، لتسلط الملتزم وأخذه الزائد للوقاحة. وسرنا يوم الأحد.. وهو اليوم السابع عشر من هذا السفر. وجزنا للسلامية ورحنا لنحو الثامرية. وقد حفنا البعوض بأرض الهور.

وفي صباح يوم الاثنين.. ولجنا لجة يقال لها أم جاري، وبتنا بآخر الهور.. وسرنا إلى أن دخل ليل الأربعاء أرضا فسيحة. ولما لمع صبح ذلك اليوم توجهنا إلى الحسكة. وبتنا لدى جرف عال، مقابلين معداناً ذوي صوت حسن عال.. ووصلنا ضحوة النهار حسكة.. وبتنا بها والخراب قد استولى عليها، ثم سرنا منها إلى دوحة (عون).. وهو على ما يقال أحد أولاد سيدي علي بطل الأبطال، رضي الله

---

(1) ويعني ذلك أن البر من البصرة إلى قريب الحلة بيد الأمير محمد بن مانع، وورقة تسيارة كلمة عامية عراقية، يقصد منها (ورقة زيارة) أو (ورقة مرور).

(2) يقصد أنه توجه نحو الكوت ولا يفهم من كلامه أنه وصلها، وإنما وجهة سفره فقط، لأن المواقع والمواضع التي سيرد ذكرها بعد هذه العبارة قد تربك القارئ.

تعالى عنهما ونفعنا بهما.. ثم سرنا إلى الليل.. إلى أن وصلنا إلى العواذل، ومنها في الصباح سرينا..ثم بتنا.

الوصول إلى الحلة

حيث إنا تحققنا وصولاً نحو الحلة، في يوم عرفة سرنا لها بهمة سامية.

مرقد نبي الله أيوب

وصلنا لمرقد ذي المراتب النامية، جناب سيدي نبي الله أيوب، منحني الله بجاهه التوبة النصوح، فقرأنا عندما قابلناه فاتحة الكتاب، وعنده زوجته الطاهرة الفاخرة.

وبعد أن نزلنا في دار منيعة الأسوار، رفيعة المقدار، لها إشراف على تلك الآثار، تعزى لبعض أعيان هذه الديار[1]، يقال له عبد الله جلبي[2].

والي الحلة يوسف بك[3]

(1) تعزى: يقصد وفاة أحد الأعيان وإقامة مجلس عزاء على روحه.

(2) عبد الله جلبي: من حكام الحلة، ولحق به لقب (جلبي) الذي دائماً ما يطلق على صنف كبار التجار في العهد العثماني، وأصل هذه العائلة من كبار التجار، وسيطروا على عقدة التجارة وطرقها البرية التي تمر بالحلة. وهم من عشيرة شمر العربية.

(3) العبارة واضحة بأنه والي الحلة (يوسف بك) وليس كما جاء في بعض المصادر من أنه متولي أراضي. وله كاتب سر هو علي آغا الرختواني تأكيداً على هذه الولايه، نعود إلى ما ذكره الدكتور عماد عبد السلام في كتابه الأسر الحاكمة. ص 292، قال: هو الحاج يوسف ابن الحاج محمد ياسين وأن حسن باشا والي بغداد منحه حكم الحلة ونال رتبة (بك)، وأن أصول هذه العائلة ترجع إلى قبيلة شمر العربية. واستمر الحكم بيد هذه العائلة لأكثر من قرن من الزمان في الحلة، وأن (عبد الله جلبي) الوارد ذكره أعلاه الذي توفي في هذه السنة 1139 هـ والد خضر بك الذي صار حاكما للحلة سنة 1163هـ - 1172هـ.

نقول: وصارت هذه العائلة تقسم إلى فروع. فرع باسم خضر بك، الذين سكنوا بغداد وبنوا مسجد خضر بك في محلة قنبر علي. وفرع يسمى آل محمد نوري باشا لهم أملاك في الحلة جرى تقسيمها في العهد الملكي. والقسم الثالث هم آل عبد الجليل بك وهو الفرع الرئيسي، وكانت لهم بيوت في بغداد، اشتهر عنهم إطعام الطعام والضيافة، حتى قيل إن آل خضر بك لا يفرغ دارهم من ضيف، وكان رؤساء القبائل عندما يدخلون بغداد ينزلون

وقد أخبرنا أن كاتب السر في الدولة، علي آغا الرختواني، ورد من أيام بصولة ودولة، وهو شامي الأصل، له فيها فصل وأصل، فاجتمعنا به ضحوة يوم العيد، في دار والي الحلة الحاج يوسف بك، ذي الرأي السديد، فسّر بنا علي آغا المذكور، وسررنا به، لسر التعارف غير المنكور.

الشيخ إسماعيل مفتي الحلة

وفي ضحوة يوم الخميس ورد علينا الصديق الملا محمود، فحصل لنا بقدومه كمال السرور.. وجاءنا نهاراً صديقنا الملا يس ابن عبد الحنان البغدادي، فتأنسنا بصحبته، وكان رفيقاً للملا محمود في هذا الورود، ثم إن الشيخ يوسف الإمام دعانا لداره ثاني يوم وأغدق الاكرام.

وجاءنا يوم السبت جناب الشيخ إسماعيل المفتي في الحلة، المعدود في زمرة الفضلاء الأجلاء، وتذاكرنا معه ما حَلَّ بأرض العجم من قبل الروم.

ودعا يوم الأحد الصديق، الشيخ محمد المسمى بالعاني، فأجبناه، فلما تم بنا المجلس المحبور، ورد علينا المفتي المذكور.. فإن الشيخ إسماعيل صحب معه تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام.. ثم حضر ذلك المجلس سليمان الموفق ابن عبد الله، تابع علي آغا السلحدار، فتيسرت بسببه دواب الزيارة الحسينية.

المشهد الحُسيني[1]

فذهبنا صحبته بعد العصر إلى الهندية، وبتنا في تلك البرية، وسرنا في الصباح

عندهم أمثال (آل السعدون) وغيرهم ويبقون في ضيافتهم أشهرا. وتصاهروا مع عوائل بغداد الكبيرة.

انظر: الدروبي - البغداديون: ص 62، وقال كان قدومهم إلى العراق عام 850هـ.

(1) ويقصد بها (الروضة الحسينية) في مدينة كربلاء، وهذه الروضة تضم رفات سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما). وأمه فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)، جاء عام 61هـ أرض تسمى كربلاء، ونزلها مع ذويه ، واستشهد في محرم عام 61هـ، وأقيم على ضريحه جامع فخم، وقبره ظاهر يزار، مشهور ومعروف.

إلى المشهد الحسيني، ولقد أنشدت لما بدت لعيني هاتيك القباب اللامعة:

لحمى جدي الحسن والحسين ... جئت أسعى له على عين وعين
سيد جده إمام البرايا ... أفضل الخلق ملجأ للخافقين
وأبوه مولى الأنام جميعاً ... وأخوه ذو قدوة الثقلين
أمه بضعة النبي المفدى ... عمه جعفر سنا النيرين

التكية البكتاشية في المشهد الحسيني[1]

الشيخ إسماعيل دده

ثم أتينا تكية الحاج خنكار بكتاش ولي، فتلقانا شيخها إسماعيل دده[2]، بالترحيب بلغه الله مراده، وأنزلنا داخل التكية.

زيارة مرقد الإمام الحسين (رضي الله عنه)

ثم إنا بعد أن توضأنا قصدنا زيارة السيد العظيم والسند الأفخم، فزرنا تلك الروضة الجنانية، وكان مقامنا عند الأقدام الشريفة، لدى مقام الشهداء أولي المراتب المنيفة.

زيارة العباس (رضي الله عنه)

ثم إنا في اليوم الثاني قصدنا زيارة العباس نجل الإمام علي، طيب الأنفاس.

زيارة الحر[3]

وقصدنا بعد أيام زيارة الحر، الشهيد المقدام، وحصل لنا عنده حظ تام،

---

(1) البكتاشية، طريقة صوفية اعتمدها العثمانيون، مشتقة من ولي بكتاش، وكانت منتشرة في الأناضول وغيرها، وفتح لها فروع في بغداد وغيرها من المدن العراقية.

(2) دده: لقب يلحق بالشيوخ الكبار للطريقة البكتاشية، ولا زال هذا اللقب لصيقا ببعض العوائل العراقية من تلك الحقبة.

(3) الحر الرياحي، من أتباع الإمام الحسين، واستشهد في المعركة.

للروحانية التي عايناها في ذلك المقام.

حمى خيمكة[1]

ثم منه صرنا إلى الحمى خيمكة.. ثم إنا ترددنا على تلك البقعة المباركة، لما رأينا لها بركة.

السيد نصر الله ابن السيد حسين الحائري

الملقب بالصفي

ودعانا علي آغا لداره مراراً. والدادا إسماعيل.. يزيد في الصدق بالمحبة وصفاء الشرب، وتابعه رضا.. وباقي الخدم كانوا معنا على أثبت قدم.

ولقد جاءنا أحد أدباء شعراء المشهد، الذين لهم حسن أدبهم بالمعرفة يشهد، السيد نصر الله ابن السيد حسين الموسوي الحائري[2] الملقب بالصفي.. وطلب رسالة العرب والعرائس المؤذنة بالطرب[3]، والمقامة الرومية، ثم أخذ كراريس الرحلة العراقية، وأوقفني على رسالة له سماها نفحة النشوة من روضة القهوة، جعلها في وصف القهوتين، السوداء البنية، والبيضاء السكرية، وقد أكثر فيها من إيراد نظمه وأبياته.. ثم جاءني برحلته المكية التي تكحل عين الأدب إكحالها السبكية. وديوان أدبه السحر[4].

---

(1) يشار إلى هذا المكان على أنه مقام للحسين (عليه السلام) وأنه نزله مع عائلته وأتباعه.

(2) الحائري من العوائل العراقية المعروفة، ثم انتشرت إلى باقي البقاع، ولهذه العائلة عدد من العلماء والأدباء والشعراء.

(3) يقصد كتاب الشيخ الصديقي (المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب).

(4) ذكر ثلاثة مؤلفات للصفي الحائري. (ديوانه)، و(رحلته المكية)، ورسالة (نفحة النشوة من روضة القهوة).

العودة إلى الحلة

وعدنا إلى الحلة يوم السبت.. ونزلنا المدرسة الزينبية[1] ثانياً، ونوينا على زيارة المشهد العلوي، كما كنا عزمنا في الأول، فرأينا شمر وزبيد قد تقاربا للتوافق في القتال[2] ولم يستحسن بعض الأصحاب توجهنا خوفاً من تعدي فبقى القلب متلهفاً على زيارة مرقده السامي.. ولما عزمنا على المسير إلى دار السلام، توجهت إلى القبلة مع من حضر من إخواننا الكرام وأهديت إلى جنابه الرفيع الفاتحة.

أسئلة صوفية

وكان الحاج أحمد المكنى بمخدوم، سألني سؤالا، هل يمكن أن يرشد المرشد أحداً من غير قال؟[3]

قلت: بلى، وهذا من باب غلبة الحال، فيكلمه بسره ويكلمه بمواقع نجوم نهيه وأمره.

فقال: وإن بعدت الديار؟

فقلت: وإن تناءت الأمصار.

قال: وهل يمكن أن يرى الإنسان شعرة من جسده، كالشجرة ذات الأغصان، ويسمع لتلك الفروع أصواتاً بالذكر ونفحات حسان؟

---

(1) اتخذ من المدرسة الزينبية في الحلة سكناً له أثناء تواجده في الحلة.

(2) ذكر عباس العزاوي في العراق بين احتلالين أنه عام 1138هـ / 1725 تشكل حلف عشائري (حلف ذي الكفل) من شمر وبني لام وساعدة والشبل لمقاتلة الحكومة، فقطعت الطرق وأثارت الفوضى فقاتلتهم الحكومة وكسرتهم، ولكن شمر جمعت قواها ثانية وكسروا ثانية.

ومن نص صاحب الرحلة يبدو أن معركة أخرى نشبت بين شمر والزبيد، أو كادت.

(3) السؤال الأول: هل يمكن للشيخ المرشد أن يرشد مريده، دون قول مباشر، ولا يكون قريبا منه، كان جواب الشيخ الصديقي: نعم عن طريق الإلهام القلبي، وحديث السر.

قلت: نعم، وهذا واقع لأهل العيان[1].

قال: فإني أرى ذلك وأسمع بأصابع يدي مثلاً ما يقال هناك، ثم قال إنك تقتل كما قتلت، بل نلت من عين المنة ما نلت، وقد ربوك بالدلال كمن قتل كل يوم قتلات.

فقلت: الحمد لله الكبير المتعال، وهذا معنى ما قال لا ما قال، فإنه رومي يتكلم بالتركية في أكثر المحال[2].

المحاويل

ثم إنا سرنا من أول ليلة الاثنين إلى خان المحاويل، مع رفق ضمن العسكر.. وسرنا منه قبيل الفجر بنحو ساعتين، إلى أن وصلنا الهور ضحوة، وأقمنا فيه إلى العصر ووصلنا إلى بيرة.. وأدينا صلاة العشاء وأقمنا فترة يسيرة، ثم سرنا مع الجمال ليلاً.. ونزلنا عند الدورة[3].. وعرجنا بالدواب إلى الشيخ داود الطائي للإقامة والاستراحة، وقرأنا الفاتحة.. فجاءنا الأخ الحاج بدر وأخبر بحصول دار متسعة، أعدها الأخ الأمجد السيد أحمد.. ونزلنا بعد اللقاء والسلام فيها وأقمنا بها.

(1) السؤال الثاني: عن الحواس، وهذا يقال عنه عند السادة الصوفية اجتماع الحواس، فيكون كله مشاما، أو عيانا، فيصير كيانه يسمع، أو يشم.

(2) يقصد كان يتكلم معه باللغة التركية، وهذه ترجمته.

(3) منطقة الدورة اليوم تقع ضمن حدود مدينة بغداد.

الباب الخامس

مغادرة بغداد..
ونهاية الرحلة

في بغداد

ثم في يوم الأربعاء زرنا في الصباح سلطان الأولياء.. ودرنا على باقي أولياء تلك البطاح، كالشهاب وأبي نجيب وغيرهما، من أولئك الحلاج.. وورد علينا أحباب وأصحاب، ومنهم الشيخ محمد الرفا وصديقه الشيخ عبد الله السويدي، وصحبة الثاني مقامة أنشأها وضمنها الأكثر من الأمثال العربية الغريبة المعاني[1]، وطلب أن تقرض عليها ما تيسر، فأجبناه وكتبنا ما يذكر.

زيارة الجمعة

وكنا زرنا يوم الجمعة.. وساعات نهارها.. جناب السيد العيص (عليه السلام)، والإمام الأعظم إمامنا المقدام، ومن في ذلك الجانب من الأئمة الأعلام.

وفي صحبتنا الأخ الأمجد السيد أحمد، وأبو بكر الملقب بحيال ابن الحاج بدر أحد الأحباب الكرام.

توديع الأحباب

زرنا سيدي بشر الحافي، وزرت الشيخ شهاب أبا حفص عمر السهروردي.. ثم زرت سيدي يوشع (عليه السلام).

ودعانا الأخ الملحوظ المرعي الشيخ مرعي أول ليلة من سفره، وقد عزم على أخذ الطريق، ليسفر له هذا السفر، فأجبناه وبايعناه، صبيحة يوم الخميس عند سيدي ذي النون لقصدٍ نفيس[2].

وبتنا ليلة الجمعة عند محبنا الملا محمد ابن الشيخ إبراهيم.. ثم عدنا عازمين

---

(1) كتاب صنفه الشيخ عبد الله السويدي باسم (مقامة الأمثال السائرة المتضمنة للأحوال الموصلة للمقامات الآخرة) مقامة في (90) صفحة، طبعت في مطبعة النيل بمصر، ذكرها الدكتور عماد عبد السلام في مقدمته على الرحلة المكية للشيخ السويدي. ص 29، ولكن ما يفيدنا هنا هو تاريخ تأليفها، إذ كانت منجزة عام 1139هـ.

(2) مبايعة الشيخ عبد الله السويدي عند قبر ذي النون، وقال عنه الشيخ مرعي، وهو اسم جد الشيخ عبد الله السويدي، فهو عبد الله بن حسين بن مرعي الدوري العباسي.

على الصلاة في الحضرة المعروفية.. وعملنا مجلس ذكر لطيف في تلك الحضرة وفي يوم السبت كرينا على الزيارة للسيد المعروف.. وفي عشية ذلك اليوم توجهنا مع القوم بعد أن ودعنا أحبابنا الأعزة العاليين، وبتنا معهم ليلة الأحد وصحبنا الشيخ عبد الله العيدروسي.. إلى الإمام المعظم.. وودعناهم قبل الفجر بساعتين نتجارى.

مغادرة بغداد

وقد أثر فينا فراق الاخوان.. وبتنا ليلة الاثنين في الجديدة[1] وما يليها.. ثم سرنا بين تلال وجبال، وخرجنا منه إلى سهل ممتد كجبل، وهذا الجبل يتصل بأرض العجم الأنذال، وكل أهله أهل تناسخ وكفر وضلال، ورأينا في قرية التازة، قبة على قرار،.. وسألنا بعض أهل القرية.. عن صاحبه.. فقيل إنه الإمام إسماعيل نجل سيدي موسى الكاظم.

الزاب

وفي يوم الخميس الخامس عشر من صفر.. ودعانا قبل المسير فقير، جار جنب لمسجد نحن فيه (في دمشق). فأجبنا.. ورحنا منه إلى محل الرفاق، على بغال.. وسرنا إلى الجسر قاصدين الموصل في هذا السير، وسرنا نصف الليل إلى الزاب الصغير، وهو نهر كبير قسموه قسمين، وبنوا عليه جسرين، فاستقام بهذه الهندسة.. ولولا حسن هذه القسمة لانهدم الجسر. لأنه في الشتاء يعظم حتى تسير السفن فيه، ويصب في الدجلة كالزاب الكبير، وتحولنا عن ذلك المحل فجراً.

كركوك

وقبل الفجر بيسير توجهنا نحو كركوك.. ونزلت في جامع، وسرنا يوم الأحد.. حتى أتينا قرية سيدي زين العابدين، نجل الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، فقرأنا له الفاتحة، ومعها شيء من القرآن.. ثم سرنا غلسة إذا الليل عسعس إلى أن وصلنا قرية الشيخ حيدر، وجزناها إلى نهر ماء ينحدر، وبتنا هناك بليل أقمر عازمين بعون الله تعالى على المسير.

الزاب الكبير

الزاب الكبير.. ونسأل الله تعالى أن يسلمنا ومن معنا منه، وأدلجنا في السرعة

---

(1) لعلها جديدة الشط في ديالى اليوم.

إلى أن.. نزلنا فناءه لنقطعه بالكلك، على عادة من هذا الطريق سالك، فجاء شيخ من مشايخ طي، طوى كشحه.. للعبور لذلك الجانب.

ثم سرنا قبل الصباح سراعاً.. فإذا ضجة الرفاق.. أن خيلاً من طي تبغي انتزاعاً.. وبعد أن حرسنا أنفسنا بآيات من اللصوص.. جلسنا من المنام قبل الفجر.. وإذا الرفاق عزموا التوجه إلى الموصل.

الموصل

ولما أشرقت علينا قبة سيدي نبي الله يونس (عليه السلام). وجبت الذين صحباني بما معي، وارتقيت مع المكاري إلى ذلك المنزل.. وقصدت لحمى نبي الله سيدي جرجيس (عليه السلام).. وفي الخان بتنا فيه عشرة.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر، ورد صديقنا الشيخ عثمان ومعه كبكبة من الاخوان.. ثم تابعنا إلى جامع الأغوات الذي هو به خطيب، فتلا على الأسماع خطبة بليغة.

وفي يوم الخميس سرنا إلى الخان على طريق الموصل العتيقة بعد أن ودعنا الأحباب، فرأينا هلال ربيع الأول، وهو ابن ليلته[1].

صفية - الرميلة

وسرنا فجراً.. والتف معنا ونحن سائرون في الطريق، شاب شريف لوجهه بنور الشرف بريق يقال له السيد محمد بن عبد الوهاب من دياربكر، وهو ممن له شهرة.. وبتنا عند عيون نابعة يقال لها صفية. وقبل انشقاق الفجر بنحو ساعتين، توجهنا نحو الرميلة، وجزناها إلى الباب الحديد الذي درسته أيدي البين. ونزلنا عند نهر قرقرت المياه.. ينصب إلى قرب جبل سنجار، وهو جبل شاهق منيع. به فرقة.. يقال لهم اليزيدية[2].. وكان المغفور له حسن باشا والي بغداد توجه لقتالهم

---

(1) هلال ربيع الأول، الأول من ربيع الأول، وبذلك تكون رحلته في العراق قد دامت بحدود سنة وثلاثة أشهر، من مطلع محرم عام 1139هـ. إلى ربيع الأول من عام 1140هـ.

(2) اليزيدية أو الأيزيدية، فرقة دينية تسكن شمال الموصل، سنجار وبعشيقة، أصلهم من أتباع الشيخ عدي بن مسافر الأموي القرشي الذي سكن جبل (لالش) في الموصل ومات هناك، إلا أن الحروب والعزلة في الجبال جعلتهم مثلما جعلت الآخرين ينظرون إليهم بريبة، فزادت الأقاويل فيهم، والكثير مما أشيع عنهم بخلاف حقيقتهم.

وحاصرهم في تلك البلاد. وقتل منهم وسبى.. وعرض له عارض، أوجب عودة قبل أن يستأصل تلك الفرقة.

ولحسن باشا المذكور أعظم الله له الأجور، آثار جميلة كتعمير الجوامع والمساجد.. وقد امتدت مدة إقامته فيها بما ينوف على العشرين عاماً.

قلعة الخاتونية

وعند هؤلاء (اليزيدية) بركة ماء في سهل الجبل كبيرة، فيها قلعة تسمى الخاتونية منيعة في وسط تلك الجزيرة، إذا ضويقوا إليها اجتمعوا، وفيها تحصنوا وتمنعوا.

وتجاوزنا الجراحي، ونزلنا عند تل أرنؤوط وقد لاقانا العسكر القافل من نحو أصبهان، مبشرين بحصول الصلح بين الفئتين أهل الإيمان، فسرنا هذا الخبر وحمدنا الله والحب لمن شكر.. وأدلجنا إلى نصيبين، وبتنا ليلة الجمعة بنصيبين، وفارقنا الديار البكرية، قرب مواجهة ماردين المحمية. إذ أقمنا بها يوم الأحد العاشر من شهر ربيع الأول[1]، وأدركتنا فيها ليلة المولد الأحمد.

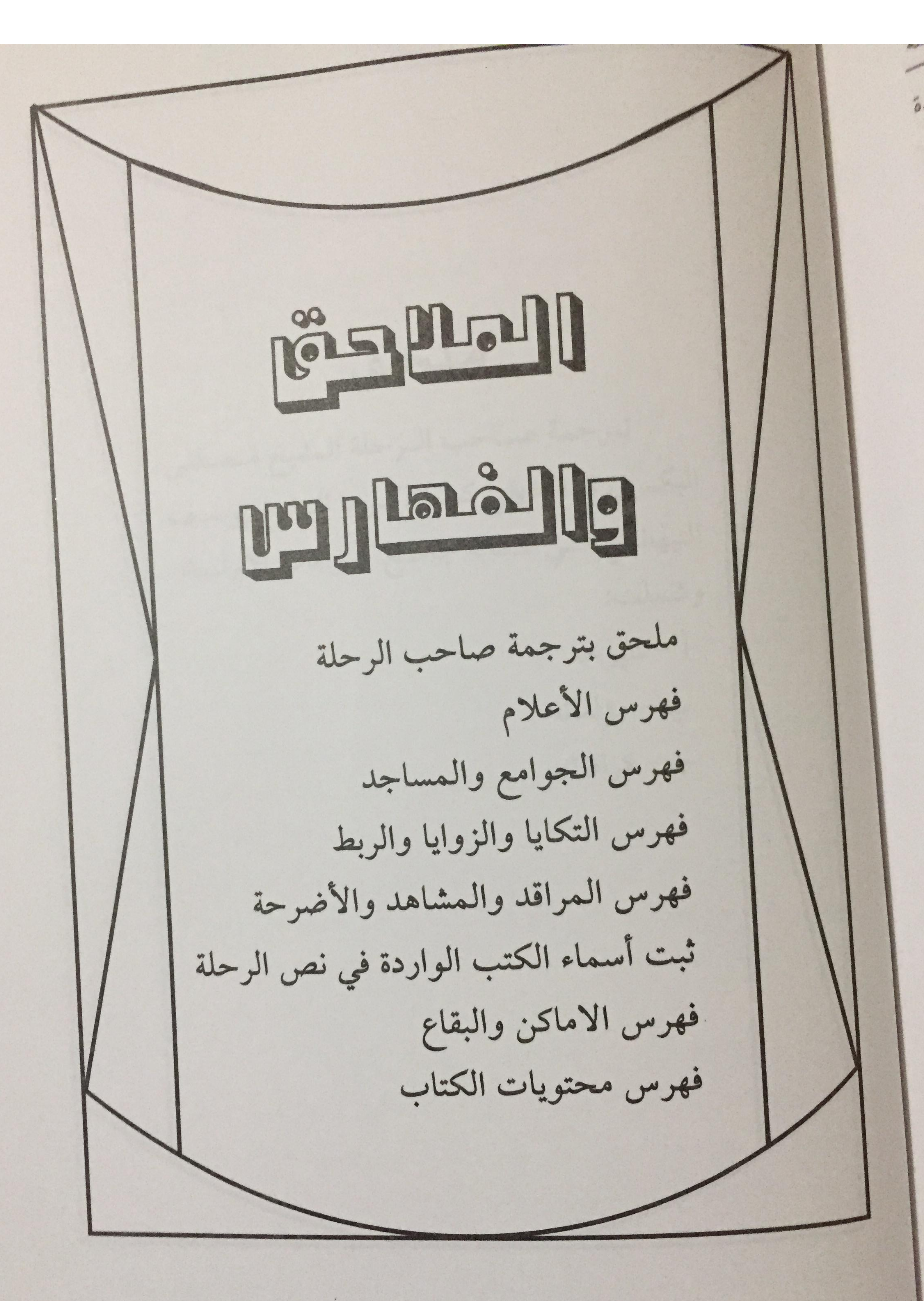
وكتب بعد وصل أهله وشرعنا حيث آن أوان ختم هذه الرحلة العراقية[2] الوافرة الانعام.. وقد أنجزت هذه الرسائل والرحلة الشريفة نهار الاثنين في شهر شوال المبارك سنة ألف ومائة وتسعة وأربعين على يد الفقير عمر بن عثمان بن عمر بن علي القدسي[3]. الحنفي خادم نعال السادة الخلوتية.

---

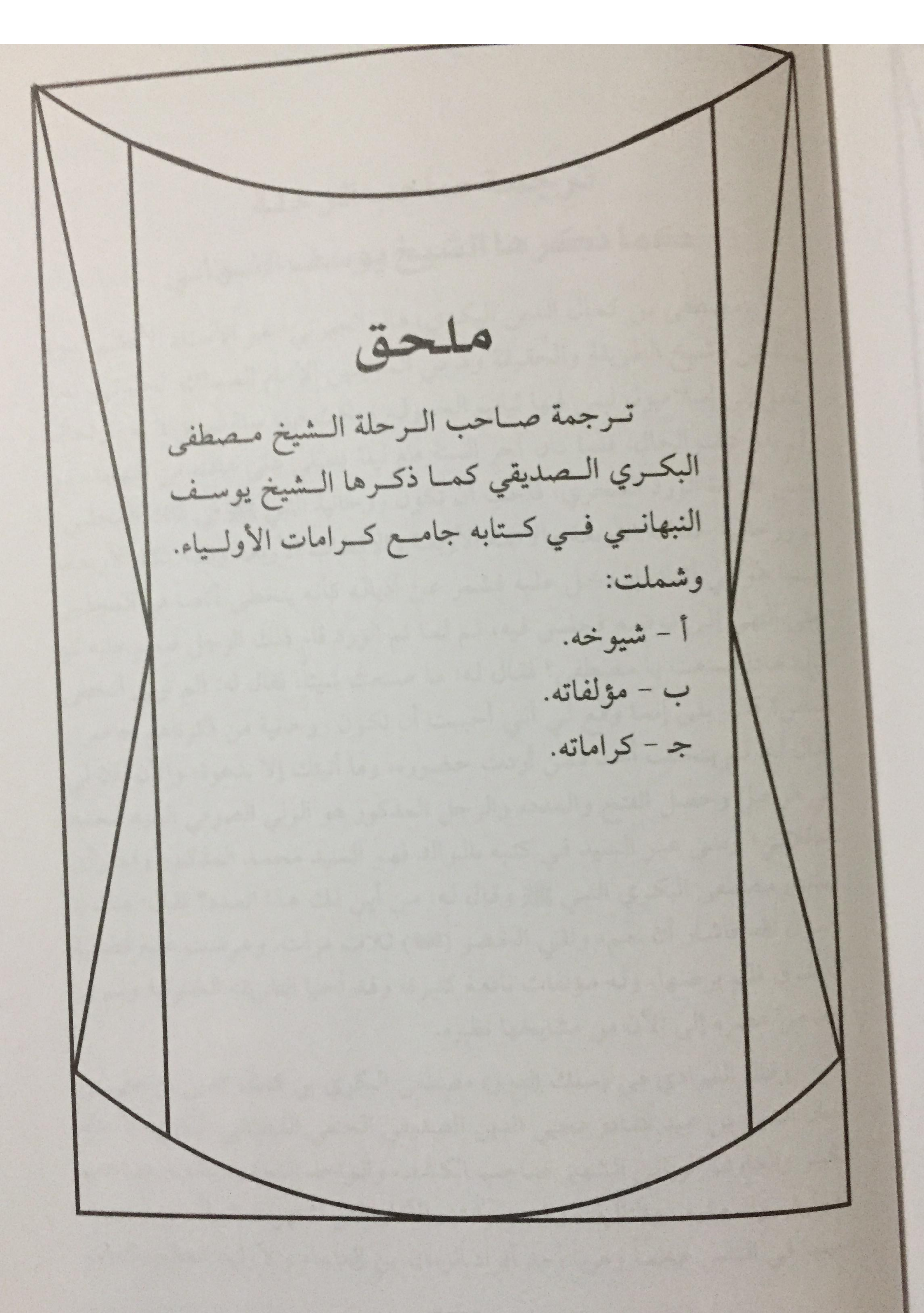
(1) العاشر من ربيع الأول من عام 1140 هـ، الذي يوافق مع المولد النبوي الأنور والأشرف، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين.

(2) هذه الرحلة اسمها كما ذكر في مقدمة المخطوطة (كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان) وتسمى أيضاً (الرحلة العراقية).

(3) اسم ناسخ المخطوطة وتم نسخها عام 1149هـ.



الملاحق والفهارس



ملحق

ترجمة صاحب الرحلة الشيخ مصطفى البكري الصديقي كما ذكرها الشيخ يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء. وشملت:

أ - شيوخه.

ب - مؤلفاته.

جـ - كراماته.

ترجمة صاحب الرحلة
كما ذكرها الشيخ يوسف النبهاني

(مصطفى بن كمال الدين البكري) قال الجبرتي: هو الأستاذ الأعظم قدوة السالكين وشيخ الطريقة والحقيقة ومربي المريدين الإمام المسلك الخلوتي. لما ارتحل إلى إسلامبول لبس فيها ثياب الخمول، ومكث فيها سنة لم يؤذن له بارتحال ولم يدر كيف الحال، فلما كان آخر السنة قام ليلة فصلى على عادته من التهجد، ثم جلس لقراءة الورد السحري، فأحب أن تكون روحانية النبي ﷺ في ذلك المجلس، ثم روحانية خلفائه الأربعة والأئمة الأربعة والأقطاب الأربعة والملائكة الأربعة، فبينما هو في أثنائه إذ دخل عليه فشمر عن أذياله كأنه يتخطى أناساً في المجلس حتى انتهى إلى موضع فجلس فيه، ثم لما تم الورد قام ذلك الرجل فسلم عليه ثم قال: ماذا صنعت يا مصطفى؟ فقال له: ما صنعت شيئاً، فقال له: ألم ترني أتخطى الناس؟ قال: بلى إنما وقع لي أني أحببت أن تكون روحانية من ذكرناهم حاضرة، فقال له: لم يتخلف أحد ممن أردت حضوره، وما أتيتك إلا بدعوة، والآن أذن لي في الرحيل وحصل الفتح والمدد، والرجل المذكور هو الولي الصوفي السيد محمد التاقلاتي؛ ومتى عبر السيد في كتبه بالوالد فهو السيد محمد المذكور وقد رأى سيدي مصطفى البكري النبي ﷺ وقال له: من أين لك هذا المدد؟ فقال: منك يا رسول الله، فأشار أن نعم، ولقي الخضر (عليه السلام) ثلاث مرات. وعرضت عليه قطبانية المشرق فلم يرضها. وله مؤلفات نافعة كثيرة، وقد أحيا الطريقة الخلوتية ولم ير أحد من عصره إلى الآن من مشايخها نظيره.

وقال المرادي في (سلك الدرر) مصطفى البكري بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري الأستاذ الكبير والعارف الرباني الشهير صاحب الكشف والواحد المعدود بألف، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التي اشتهرت شرقاً وغرباً، وبعد صيتها في الناس عجماً وعرباً أحد أفراد الزمان من العلماء والأولياء العظام، العالم

العلامة الأوحد أبو المعارف قطب الدين. ولد بدمشق 1099 ونشأ يتيماً، واشتغل بطلب العلم وقرأ على مشاهير العلماء، وأجاز له الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت، والشيخ محمد عقيلة المكي، والشهاب أحمد النخلي المكي، وعبد الله بن سالم البصري المكي، وجميعهم أجازوا له، ولازم الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي وقرأ عليه كتب التصوف لسيدي محيي الدين وطرفاً من الفقه، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي، وسمعه مرة يقول: الجنيد لم يظفر طول عمره إلا بصاحب ونصف، فقال له: وكم ظفرتم أنتم بمن يوصف بالتمام، فقال له: أنت إن شاء الله تعالى، ثم توفي الشيخ واجتمع تلاميذه عليه وجددوا أخذ البيعة عنه، فشاع خبره وذاع أمره وكثرت جماعته وانتشرت ألويته، وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام ولبنان وبغداد والقدس ومصر والحجاز، وفي كل هذه البلاد انتشرت عنه الطريق وعم الإرشاد وزار من فيها من الأولياء أحياءاً وأمواتاً، وأقام في القدس مدة طويلة ولم يترك التأليف سفراً وحضراً، وأخذ العهد العام على جميع طوائف الجن أن لا يؤذوا أحداً من مريديه الذين أخذوا عنه أو عن ذريته بمشهد كان فيه السيد محمد التاقلاتي وغيره من المريدين وأخذ عنه خلائق كثيرون، ومن الجن سبعة ملوك وأسماؤهم محررة في بعض مؤلفاته. ولما توجه إلى مصر تلقاه الأستاذ الحفني أعظم خلفائه، ومعه خلائق كثيرون من علماء مصر ووجوه أهلها، وأفرد له دارا أو أقام هناك مقبلاً على الإرشاد والناس يهرعون إليه مزدحمين عليه.

ومن كراماته التي لا تعد ولا تحصى: أن مصرفه كان مثل مصرف أكبر من يكون من أرباب الثروة وأهل الدنيا، ولم تكن له جهة معلومة يدخل منها ما يفي بأدنى مصرف من مصارفه، ولكن بيده مفتاح التوكل لكنز (هذا عطاؤنا).

قال المرادي: وقد أفرد ترجمته بكتاب ولده شيخنا أبو الفتوح محمد كمال الدين البكري سماه (التلخيصات البكرية في ترجمة خلاصة البكرية) بث فيه بعض مزاياه الجميلة، وما كان عليه من الأحوال الجليلة، وله من الخلفاء الذين توفي وهو عنهم راض ما ينوف على عشرين خليفة من أهل الأسرار والأنوار، واستيفاء الكلام على أحواله الشريفة يكاد أن يعد من المحال. وبالجملة فقد كان رحمه الله ورضي عنه من أفراد العالم علماً وعملاً وزهداً وورعاً وولاية، انتهى ما نقلته من تاريخ المرادي باختصار وتقديم وتأخير.

وقال الشيخ حسن بن علي شمة المصري الفوي في كتابه الذي ألفه في مناقب شيخه الحفني أعظم خلفاء سيدي مصطفى البكري: أخبرني أستاذي عنه: أي عن شيخه السيد مصطفى البكري، أنه جمع مناقب نفسه في مؤلف بلغ نحو أربعين كراساً تسويداً في الكامل ولم يتم، وقد رأى النبي ﷺ مرة في النوم وقال له: من أين لك هذا المدد؟ فقال: منك يا رسول الله، فأشار أن نعم، ولقي الخضر عليه السلام ثلاث مرات، وعرضت عليه قطبانية المشرق فلم يرضها قال: وأخبرني من أثق به أنه كان إذا مشى على أرض فرش له بساط من نور يمشي عليه، حتى سار مع بعض أولياء عصره مرة، فقلع ذلك الولي نعله فقال: لم فعلت ذلك؟ قال: أستحي أن أمشي على بساط كرامتك بنعلي. وكان أكرم من السيل وأمضى في السر من السيف، وأتى مفاتيح العلوم كلها حتى أذعن له أولياء عصره ومحققوه في مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ على رؤساء الجن العهود وعم مدده سائر الوجود، وسمعت أستاذنا، يعنى القطب الحفني يقول بعد وفاته: إني أود الآن لو كان أستاذنا الصّديقي حياً وأكون خادماً له فقط وأحظى بلثم أعتابه قال: ثم حج مولانا السيد الصديقي عام إحدى وستين، وعاد من الحجاز إلى القاهرة فمرض عقب دخوله مدة شهر، فحان مولد السيد البدوي، فأراد الشيخ أستاذنا الحفني أن يتخلف عن الذهاب إليه لأجل السيد، فأشار إليه بعدم التخلف، فتوجه أستاذنا إلى المولد الشريف، فتوفى السيد الصديقي وهو في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام 1162هـ، ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة، وقبره ثم مشهور بزيارته تضاعف الأجور، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من هذا العام مولداً عظيماً شدت إليه الرحال، وحطت لديه الأثقال، وتطاولت دونه الآمال.

وبالجملة فمناقب هذا السيد الجليل تجل عن التعداد، انتهى كلام الشيخ حسن شمة باختصار.

ومن أعظم كراماته: كثرة مؤلفاته نظماً ونثراً مع اشتغاله بالطريق والأسفار في الأقطار وأنواع العبادات والاجتماعات مع الناس: قال الشيخ حسن شمة: وتآليفه تقارب المائتين وأحزابه وأوراده أكثر من ستين، قال المرادي: وألف مؤلفات نافعة، منها: شرحه على الهمزية، وشرحه على ورد الوسائل، وشرحه على حزب الإمام الشعراني، وشرحه على قصيدة المنفرجة لأبي عبد الله النحوي، وشرحه على قصيدة الإمام أبي حامد الغزالي التي أولها:

الـــــشدة أودت بــــــالمهج يـــا رب فعجـــل بالفـــرج

وشرحه على بيت من تائية ابن الفارض، وله اثنتا عشرة مقامة واثنتا عشرة رحلة، وسبعة دواوين شعرية، وألفية في التصوف، وتسع أراجيز في علوم الطريقة ورسالة سماها تبريد، وقيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو، ومرهم الفؤاد الشجي في ذكر يسير من مآثر شيخنا الدكدكجي، والمنهل العذب السائغ لوارده في ذكر صلوات الطريق وأوراده. والروضات العرشية على الصلوات المشيشية. وكروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني. وفيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام. واللمحات الرافعات غواشى التدهيش، عن معاني صلوات ابن مشيش. والورد السحري الذي شاع وذاع وعمت بركاته البقاع وصار ورداً لا يضاهى وحقائقه لا تتناهى، شهرته تغني عن الوصف والتحرير ومعانيه ومزاياه لا تحصيها أقلام التحبير، شرحه ثلاثة شروح أحدها سماه "الضياء الشمسي على الفتح القدسي" في مجلدين ضخمين، والثاني رفيع المعاني سماه "اللمح الندسي على الفتح القدسي" والثالث الذي لكشف أسراره باعث "المنح الأنسى على الفتح القدسي" ومن مؤلفاته: السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد، والفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب، وهذان التأليفان من أعجب العجاب لمن كشف له النقاب، فمن أراد فليراجعهما ففيهما ما تشتهيه القلوب وما تشتاقه من كل مطلوب ومرغوب. والوصية الجنية للسالكين في طريق الخلوتية. والنصيحة الجنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية. والحواشي السنية على الوصية الحلبية. وبلوغ المرام في خلوتية الشام. ونظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة. وله في الحقيقة مقامات: الأولى المقامة الرومية والمدامة الرومية. والثانية المقامات العراقية والمدامة الإشراقية. والثالثة المقامة الشامية والمدامة الشافية. والرابعة الصمصامة الهندية في المقامات الهندية. وهي - أعنى هذه المقامات - في أعلى مقام البلاغة والفصاحة. وبلغة المريد ومنتهى موقف السعيد نظماً. وألفية في التصوف، وكل ذلك في آداب الطريقة العلية.

ومن تآليفه (رضي الله عنه): تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة، وتسلية الأحزان وتصلية الأشجان. ورشف قناني الصفا في الكشف عن معاني التصوف والمتصوف. والصفا والمدام البكر في بعض أقسام الذكر. والثغر البسام فيمن يجهل من نفسه المقام. والكأس الرائق في سبب ختلاف الطرائق. والتواصي بالصبر والحق امتثالاً

لأمر الحق. والوارد الطارق واللمح الفارق. والهدية الندية للأمة المحمدية. والموارد البهية في الحكم الإلهية على الحروف المعجمة الشهية. وجمع الموارد من كل شارد. والكمالات الخواطر على الضمير والخاطر. والجواب الشافي واللباب الكافي. وجريدة المآرب وخريدة كل سارب شارب. وهدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب. والكوكب المحمى من اللمس بشرح قصيدة الجيلي سلاف تريك الشمس. ورسالة الصحبة التي انتخبها الخدمة والمحبة. ورسالة في روضة الوجود ورفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال المدى. وأرجوزة الأمثال الميدانية في الرتبة الكيانية. والمطلب الروي على حزب الإمام النووي. وله شرح على ورد الشيخ أحمد العسالي. وشرح على رسالة سيدي الشيخ أرسلان، والبسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدام: وله: الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق. والفيوضات البكرية على الصلوات البكرية لسيدي محمد البكري الكبير. والصلاة الهامعة بمحبة الخلفاء الجامعة. ونيل نيل وفا على صلوات سيدي على الوفا. والمدد البكري على صلوات البكري، صلوات أخرى غير السابقة لسيدي محمد البكري. والهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية، لسيدي محيي الدين ابن العربي، واللمح الندية في الصلوات المهدية. والنوافح القريبية الكاشفة عن خصائص الذات المهدية. والهدية الندية للأمة المحمدية فيما جاء في فض الذات المهدية. وله (رضي الله عنه): نظم أحاديث نبوية ومقدمة وأربعون حديثاً وخاتمة سنية. والأربعون الموروثة الانتباه فيما يقال عند الانتباه. وله (رضي الله عنه): تفريج الهموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم. والخمرة المحسية في الرحلة القدسية والحلة الذهبية في الرحلة الحلبية والحلة المغنية. ورسوم الهموم في الرحلة الثانية إلى بلاد الروم. والثانية الأنسية في الرحلة القدسية. وكشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان. والفيض الجليل في أراضي الخليل. والنحلة النصرية في الرحلة المصرية. وبرء الأسقام في زمزم والمقام. ورد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان. ولمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال. وله (رضي الله عنه) بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء. والابتهالات السامية والدعوات النامية. والورد المسمى بالتوجه الوافي والمنهل الصافي. والتوسلات المعظمة بالحروف المعجمة. والفيض الوافر والمدد السافر في ورود المسافر. والورد السنى في التوسل بأسمائه الحسنى. وسبيل النجاء

والالتجاء في التوسل بحروف الهجاء. وأوراد الأيام السبعة ولياليها.

وقد ترجم (ﷺ) كثيراً من مشايخه وممن اجتمع عليهم. فمن ذلك: الكوكب الثاقب فيما لشيخنا من المناقب. والثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم. والفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا عبد الغني. والصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم. والدرر المنتشرات في الحضرات العندية في الغرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية. وله ديوان الروح والأرواح. وله عوارف الجواد التي لم يطرقهن طارق، قد أبدع فيه وأغرب، وجعله مبنياً على ذكر حاله ووقائعه من ابتدائه إلى انتهائه على طريقة الإجمال، هذا ما وقفت عليه ووصل سمعي إليه. وله غير ذلك من التآليف، انتهى ما ذكره المرادى من تأليفاته.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: وقد وقفت على كثير من مؤلفاته (ﷺ) ولله الحمد، ورأيت منها بخطه الشريف المقامة الرومية وعليها تقريظ بخط ناظمه العلامة الشيخ يوسف الحفني صاحب حاشية الأشموني وهو أخو الأستاذ الحفني الشهير، وهذا هو التقريظ:

تقـول مقامـات الحريـري أن رأت	مقامة هذا القطب كالكوكب الدري
تـضاءل قـدري عـندها ولطائفـي	وأيـن ثـرى الأقـدام من أنفس الدر
فهـذي لأهـل الظرف تبدى ظرائفاً	وللواصل المشتاق من أعظم السر
فكـيف ومنـشيها فـريد زمانـه	أجل همام قال نوديت في سر

ورأيت خطه الشريف (ﷺ) على كتب أخرى له من تآليفه موجودة الآن في القدس الشريف عند آل أبي السعود، الذي أوقف كتبه في حياته من مؤلفاته وغيرها، ووضعها في زاويتهم في جوار المسجد الأقصى، وقد ضاع أكثرها الآن ولم يبق منها إلا القليل في القليل في أيدي بعضهم. وعندي من تأليفاته عدة كتب مما ذكرها المرادي ومما لم يذكره، ومن جملتها: شرح حزب النووي، وعليه خطه الشريف في آخره إجازة لمالكه، وهذه عبارته بنصها: **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم** وبعد: فقد أجزت مالك هذا الكتاب الشيخ محمد به وبأصله المشروح، وبما لنا من أوراد وأذكار وصلوات على النبي المختار، قال ذلك ورقمه العبد الفقير إليه تعالى مصطفى سبط آل الحسنين الأحسنين الصديقي عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين.

وقد أحببت أن أنقل هنا فوائد تتعلق بسيدي مصطفى البكري من كتابه (السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد) وعنى بهم الذين يزعمون أنهم من الصوفية ولا يتقيدون بالأحكام الشرعية، قال (رضي الله عنه): قال سيدي علي بن علوان: يعني الحموي (رضي الله عنه) في كتابه المسمى بـ(مصباح الهداية ومفتاح الولاية) وليرغب - أي العالم - التلامذة في علم السلوك والطريقة والحقيقة بعد ضبط الشريعة، وإلا فالحقيقة بدون الشريعة زندقة، شاهدنا ذلك وخبرناه، بل المرشد الصادق أول ما يندب المريدين إلى أحكام الشرع وضبطه، وتطهير النفس وتصفية القلب وصقله بدوام الذكر والمجاهدة، فإذا تجلت فيه بعد ذلك كان نوراً على نور، وإن لم يفتح له في الحقيقة فهو على ساحل السلامة في بر الشريعة ورياض الطريقة، والمتحقق قبل الشرع وحفظه لا وفعلاً هو إلى الزندقة أقرب، إلا أن يكون مجذوباً جذبة ربانية فيصير حينئذ في طور لا يعرفه إلا من شهده، ولربما برز على ظاهره ما هو مخالف للشريعة وهو محق من حيث الحقيقة، وشاهد ذلك قصة الخضر مع موسى (عليهما الصلاة والسلام) كما تضمنها الكتاب العزيز والسنة، ولكن ها هنا مزلة الأقدام وموطن الدعاوى والغلط، وصح في الحديث النبوي الذي رواه الشيخان "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور" وصح "ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله عز وجل إلا قلة" رواه مسلم انتهى. وأقول: ربما أدركته ذوقاً في نفسي أنى إذا نمت على غير طهارة أرى نفسي في تعب وعناء وأماكن خربة وأمور مكدرة، وإذا نمت على الهيئة المسنونة أرى نفسي في بسط وسرور ومحلات نزيهة، حتى أني إذا عجزت عن الوضوء لغلبة نعاس أو شدة برد أتيمم، وإن تركته ونمت فكذلك. وكثيراً ما يتفق لي إذا احتجت اغتسالاً ونمت قبله على غير طهارة أو تيمم رؤية أمور مهولة تزعجني وربما استفقت منها. ومن ذلك أنى أجد عندي نشاطاً ما دمت على طهارة فإذا أحدثت ولم أتوضأ أجد في باطني ضيقاً وقبضاً. وكذلك إذا فاتني قيام ليلة أجد تغيراً في باطني ذلك اليوم ولا أعلم له سبباً إلا عدم القيام مع أنه لا صنع لي فيه.

ومما أشاهده في نفسي إذا مرّ عليّ وقت وكان الاشتغال فيه بالله تعالى أكثر من الغفلة عنه، حصول انفساح وانشراح في قلبي لا يعبر عنه لساني لأنه أمر وجداني، ويتفق لي إذا غلبني النوم قبل صلاة العشاء، وهذا الوقت يكره فيه النوم فأحس بشيء لين يضرب في وجهي فأستفيق من ذلك، وأعد مثل هذا وما شاكله من نعم الله على عبده.

ومما أشاهد تأثيره في القلب المطعم الحرام، فإنه يحدث ظلمة وغشاوة على القلب لا تزول إلا بمجاهدة من حبس النفس وإشغال القلب بالذكر وإيقاد نار الخوف من الله فيه والشوق الذي يصفيه، وأكثر أهل الطريق إذا أحسوا بثقله في قلوبهم يستدعون القيء كما فعل الصديق (ﷺ)، وربما ادعى هؤلاء الرعاع أن قلوبهم كالبحر لا يعكرها الدلاء مع نص أهل الطريق أن ظلمة الحرام تؤثر في قلب كل أحد على حسب مقامه حتى القطب، وفعل الصديق من أقطع حجة وأرفع محجة، ومما نشاهده في نفوسنا إذا وقعت منا هفوة كغيبة أو أذية أحد ولو بالقلب، اختلاف سير القلب وانقباضه وجموده وضيقه حتى كأنه بين جبلين انطبقا عليه، وكلما عظمت المعصية عظم الكرب واشتد البلاء، هذا مع سرعة المبادرة للتوبة والاستغفار والاعتراف بالجرم وعدم الإصرار، لكن هذا من لطف الله بعبده حتى ينتبه ويرجع عن المعاصي، ولا يغتر بأناس أماتت الذنوب قلوبهم واستولت عليها، فلا يحسون بقسوة ولا يدركون أثر هفوة. جاء في الحديث الشريف: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكره الله ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾" رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة.

ومما نشاهده إذا أقمنا صلاة بما ينبغي لها نجد لها في القلب نوراً عظيماً حتى نرى الالتفات في الصلاة يضعف تأثيرها لما في الحديث " إياكم والالتفات في الصلاة فإنها هلكة " وفيه أيضاً " ما التفت عبد قط في صلاته إلا قال له ربه: أين تلتفت يا ابن آدم؟ أنا خير لك مما تلتفت إليه " وفي رواية " لا تلتفتوا في صلاتكم فإنه لا صلاة لملتفت " إلى غير ذلك.

والحاصل أن كل عمل من أعمال الشريعة المطهرة يجد العامل به نوراً أو سروراً، ويورثه قربة وحضوراً، ويكشف الحق له به عن قلبه ستوراً، ومن أخل بآدابها ولم يعتصم بأسبابها وادعى وصولاً فهو صادق، لكن إلى سقر أو حصولاً فكذلك لكن على صفات البقر، ولا يحتاج الموفق بعد العيان والوجدان إلى دليل ظاهر أو برهان، فليس بعد العشية من عرار، ولا بعد عبادان من دار، فإن التمسك بالشريعة الغراء أعظم بركة من نخلة مريم، وأطيب من عطر منشم، وإياك أن تفرق جمع قلبك على الحق هذه الفرقة الزنادقة الأسافل، وتمسك بحبل الله المتين، والزم

حمى الفرائض والنوافل، فما بعد هدى المصطفى وشريعته المستنيرة حيرة، ولا بعد سيرته العلية وسيرة العمرين والأصحاب سيرة، لكن الأمر كما قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به من اهتدى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ انتهى كلام سيدي مصطفى البكري باختصار وتصرف قليل.

ثم قال: ومما استزلهم به الشيطان حتى أوقعهم في شبكة الخسران ادعاؤهم أن الشيطان ليس له عليهم سبيل، وكيف يركن من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلى أباطيل زخارف الشيطان بعد قول الله تعالى في كتابه القديم وخطابه العظيم: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ وذكر غير ذلك من الآيات والفوائد النافعات، ثم قال: ورأيت في بدء سلوكي على يد شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى أني في مكان متسع في عرائش عنب كثيرة وخلق كثير، وكأني مشغول في الذكر غير ملتفت لما هم فيه، ورأيت شخصاً ذميماً قصيراً على رأسه طنطور وفي يده ثلاث جواهر، فوضعهن ما بين تلك العرائش ونادى في أولئك الأقوام: من وجد منكم هذه الجواهر أعطيته كذا وكذا دينار، فابتدر أولئك الأقوام يبحثون في تلك العرائش فلم يجدوا شيئاً، فرفعت طرفي فرأيت الجواهر فأخذتها وطلبت منه الجعل فأبى، فرأيت في حجره دنانير فأخذت منها وانصرفت، فتبعني فالتفت إليه وصرت أقول الله الله، وهو يدور ويصغر حتى فني، فانصرفت إلى قصر البناء فتبعني أيضاً، فقلت له: قد أتيت إلى هنا ثم إني توجهت إليه بهمة وعزمة وصرت أقول الله الله، وهو يصغر ويذوب مع الدوران حتى لم يبق له أثر، ثم زدت في الذكر حتى تحققت انعدامه ونزلت من القصر، فرأيت سلما، يقابل السلم الذي نزلت عنه، ورأيت على أول درجة منه أشرف الخلق ﷺ فتبعته، وصار كلما علا درجة صعدت خلفه، حتى أتينا متسع السلم فغاب عني هناك، وفسّر لي الشيخ رحمه الله تعالى الجواهر بتوحيد الأفعال، والأسماء والصفات والدنانير بحقائق عرفانية، وذوبانه بالذكر قال: هو تصاغره بظهور عظمة المذكور، ثم السلم الأول هو السير بالهوى، والثاني بالاتباع للقدم المحمدي ولا أمان منه لعنه الله إلا بعد حلول دار الأمان.

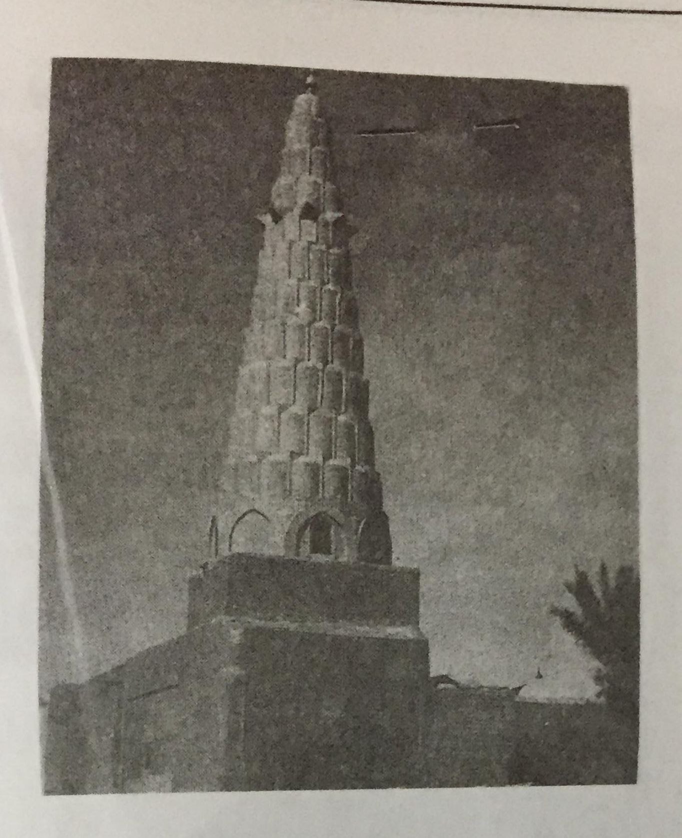
ثم ذكر فوائد مهمة، وأثنى على سيدي محيي الدين ابن العربي بما هو أهله، ونقل الثناء عليه عن غيره من العارفين، ومنهم من ألف الكتب المستقلة في ذلك، منها

كتابان لشيخه العارف النابلسي أحدهما (الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين) والثاني: رسالة سماها (السر المختبئ في ضريح ابن العربي) وقال بعد ذلك: ولقد رأيته (رضي الله عنه) في مبشرة أنه عندي في الخلوة الكائنة في البادرائية، وهناك بعض أناس، ووجدت في نفسي بمشاهدته سروراً ووجهه يتهلل ويتلألأ نوراً، وإذا برجل دخل علينا وصار يفرق دنانير ولم يعط من حضر، فآثره الشيخ بنصيبه، فاقتديت به ورميت له بما دفع لي ذلك الرجل، وما شعر الرجل بما رميت له، فقال له الشيخ: خذ ما رمى به السيد مصطفى فأخذها. قال السيد مصطفى البكري (رضي الله عنه): ورأى بعض من لم يحسن فينا اعتقاده ولا صفا لنا وداده، أنه عند مرقده السامي، قال: فلما نزلت ودخلت المقام رأيت الشيخ جالساً على الصفة التي تلى المرقد، قال: فتقدمت إليه فإذا هو أنت، ثم رجعت فرأيته الشيخ، ثم تقدمت رأيته فأنت، وهكذا مراراً والشيخ يتبسم، قال: ولقد انتفعت بمطالعة كتبه كثيراً، ورأيت لها مدداً غزيراً، فله عليّ مشيخة بهذا الاعتبار، واتفق لي المنام في مسجده ليلات كثيرة، وكانت بجلوسي في عتباته والتماسي من بركاته منيرة، ورأيته غير هذه المرة وأخبرت صديقنا المرحوم الشيخ إبراهيم ابن الأكرم فقلت له: إني أجد إذا دخلت من باب مسجد الشيخ كأني ألبست ثوباً باطناً غير الذي كنت لابسه، وإذا خرجت أرى كأنه نزع عني، فقال رحمه الله تعالى: إني أدركت هذا الأمر وما كنت أظنه أنه يقع لغيري.

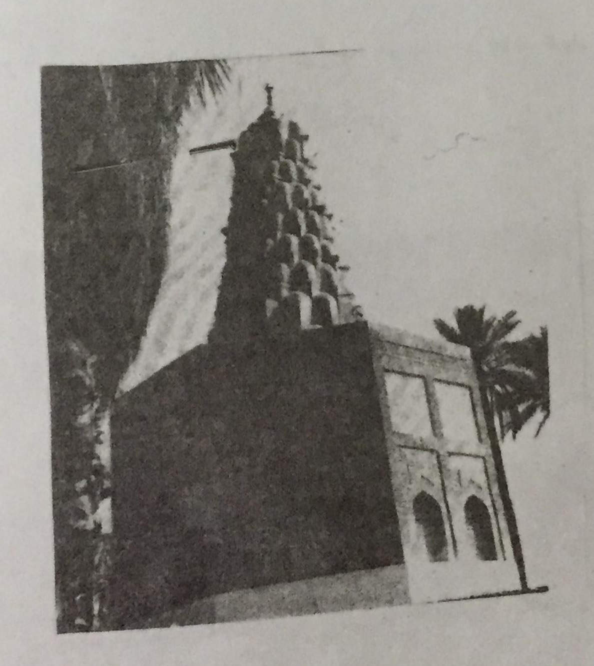
ثم ذكر السيد مصطفى البكري (رضي الله عنه) جماعة من أشياخه، وممن اجتمع عليهم من الأخيار، ذكر في مقدمتهم العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي، وذكر بعض ما جرى له معه، ومنه ما أخبره به من أنه رأى الصديق الأكبر (رضي الله عنه) ويداه مملوءتان مضمومتان، ففتح إحداهما وقال: يا عبد الغني هذه ذريتي فاحفظها، ثم أعطاه ما في الثانية ولم يصرح به.

وذكر أنه أجازه في المنام واليقظة بكتبه ومؤلفاته التي زادت على مائتين، وبالطريقة القادرية والنقشبندية. قال: ورأيته في رحلته الكبرى يقول: إنه أخذ طريق النقشبندية من طريقين: طريق ظاهر عن محمد باسعيد الهندي، وطريق باطن تلقاه عن روحانية أبي يزيد البسطامي أو عن غيره من كبار طريق النقشبندية. قال سيدي مصطفى البكري: فتعلق خاطري في هذ الطريق الثاني، فرأيت بعد مدة أني في مكان بين جماعة أعرف غالبهم وكلهم من الصالحين، لكني لم أعرف الجميع وإنما

عرفت البعض، ثم تفرقوا فالتفت عن يساري وإذا برجل نائم، قيل لي أو وقع في سري أنه أبو يزيد البسطامي (ﷺ)، فقلت: إذا لا أذهب حتى آخذ عنه طريق النقشبندية، ثم إنه بعد حصة انتبه من منامه فلم أجسر عليه حتى قام، وجاء بعض الناس وصار يخدمه ووضأه وأنا أنظر إليه، فلما رأيته فرغ من وضوئه وجلس مكانه قمت إليه وقبلت يديه وطلبت منه طريق النقشبندية، فقال: ألم يخبرك به الشيخ عبد الغني؟ فقلت نعم تلك إجازة وأنا أريد بالفعل، فمد يده وبايعني ولقنني الذكر في فمي ثم انصرف وأرسل خلفي مع رجل من أقاربي، ثم انصرف وتبعته فرأيته دخل محفة وجلس فيها فأردت أن أدخل عنده، فقال اجلس هنا وأشار إلى طرف المحفة وقال أنا مشتغل في تكميلك، وتكميلك قريب، ثم إني اشتغلت في الذكر الذي لقنني وهو مشغول في المشاهدة، ثم أشار لي أن أيام تكميلك قد كملت، وخرج من المحفة وسار فتبعته، ثم إنه قال لي وهو يدير رأسه ويقول: ليكن مشهدك هو ومدها، فقلت له: يا سيدي إن لي مدة هذا مشهدي، فقال: دم عليه، ثم استفقت، وفي جمعة رؤيته تيسرت زيارته، ومرقده على تل عال، ومسافته عن الشام تقرب من أربع ساعات، وكان المساعد على هذه الزيارة أخونا في الله تعالى الشيخ عبد الرحمن السمان، وقال لي: جئت مرة لزيارته وحدي فرأيته في المحراب قائماً يصلي فلم أجسر على الدخول وصارت أفخاذي تصفق، ثم زرنا سيدي الشيخ عقيلاً المنبجي (ﷺ)، ودخلنا حضرته وصلينا ركعتين ودعونا الله تعالى بما يسره، ثم سرنا إلى زيارة الشيخ حياة بن قيس الحراني (ﷺ)، فدخلنا جامعه المنير وزرنا مرقده المستنير، وبتنا عنده ليلتين ثم عدنا إلى الأوطان، وقد حصل لنا حظ كبير في هذه الزيارة وبسط كثير طفح الكيل عياره، ونقل بعد هذا عن البهجة أن أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء وهم: سيدي الشيخ عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنبجي والشيخ حياة بن قيس الحراني (رضي الله عنهم)، وأن أربعة كانوا يبرئون الأكمه والأبرص، وهم: الشيخ عبد القادر، والشيخ بقاء بن بطو، والشيخ أبو سعيد القليوبي، والشيخ علي ابن الهيتي (رضي الله عنهم أجمعين)، وتقدم أن وفاته (ﷺ) سنة 1162.



صورة قديمة - لقبة مرقد الشيخ عمر السهروردي - بغداد



صورة قديمة - لمرقد زمرد خاتون - اعتقدها الرحالة أنها قبة زبيدة زوجة هارون الرشيد - ببغداد

فهرس المحتويات

الملاحق والفهارس